

شَرْحُ إِعْتِرَاضَاتِ الإِمَامِ الغَزَالِيِّ عَلَى الدَّلِيلِ الثَّانِي
بِصِغْتَيْهِ لِلْفَلَّاسِفَةِ فِي قَدَمِ العَالَمِ، وَهُوَ مِنْ مَبَاحِثِ
المَسْأَلَةِ الأُولَى مِنْ "تَهَافُتِ الفَلَّاسِفَةِ"

شَرْحُ لَطْفِي خَيْرِ اللهِ

- 3.....كَلِمَةُ الشَّارِحِ
- 5.....الصِّغَةُ الْأُولَى لِلدَّلِيلِ الثَّانِي
- 47.....الصِّغَةُ الثَّانِيَةُ لِلدَّلِيلِ الثَّانِي

كَلِمَةُ الشَّارِحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ جَعَلَ الْإِمَامُ الْعِرَاقِيُّ رَدَّهُ عَلَى الْفَلَّاسِفَةِ فِي كِتَابِ "هَافُتِ الْفَلَّاسِفَةِ" فِيمَا فِيهِ نِزَاعٌ بِأَصْلِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَكَانَ قَوْلًا فِي غَيْبٍ مِنَ الْغَيْبَاتِ. أَمَّا مَا كَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ مُخَالِفًا لِلشَّرْعِ فِي اللفظِ فَقَطُّ فَقَدْ تَرَكَهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا فِي تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ عَابَ مَنْ طَعَنَ فِيهِ، وَعَدَّهُ مُكَابَرَةً لِأُمُورٍ فَطَعِيَّةٍ شَأُهَا أَنْ تُسَهَّلَ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ طَرِيقَ إِبْطَالِ الشَّرْعِ، كَحِسَابِ الْكُسُوفِ. وَمُخَالَفَةُ الْفَلَّاسِفَةِ لِأَصْحَابِ الْمِلَّةِ وَالِدِّينِ ذَاتُ وَجْهَيْنِ : الْوَجْهُ الْأَوَّلُ، إِدْعَاؤُهُمْ أَنَّ الْأُمُورَ الْإِلَهِيَّةَ يُمَكِّنُ إِدْرَاكُهَا بِالْعِغْلِ وَحْدَهُ، بَلْ إِنَّ الْيَقِينَ فِيهَا غَيْرُ حَاصِلٍ إِلَّا بِالطَّرِيقِ الْبُرْهَانِيِّ الْمُسْتَعْنِي إِطْلَاقًا عَنْ كُلِّ سَنَدٍ نَقْلِيٍّ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي، إِثْبَاتُهُمْ لِأَشْيَاءٍ هِيَ مُنَافِيَةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ قَطْعِيَّاتِ الشَّرْعِ، كَقَوْلِهِمْ بِقَدَمِ الْعَالَمِ، وَإِنْكَارِ الْحُشْرِ الْجِسْمَانِيِّ، إِلَى غَيْرِهِمَا. لِذَلِكَ فَإِنَّ الْعِرَاقِيَّ فِي رُدُودِهِ عَلَيْهِمْ مَا كَانَتْ هِمَّتُهُ أَنْ يُثَبِّتَ هَذِهِ الْقَطْعِيَّاتِ بِأَدِلَّةٍ تَامَّةٍ خَالِيَةٍ مِنْ كُلِّ شَكٍّ، أَوْ أَنْ يَحُلَّ كُلَّ شَكُوكِ الْفَلَّاسِفَةِ. بَلْ سَعِيَهُ قَدْ كَانَ فِي أَمْرَيْنِ : الْأَمْرُ الْأَوَّلُ، إِنْ كَانَ حُكْمُ الْفَلَّاسِفَةِ هُوَ مُخَالِفًا مُخَالَفَةً صَرِيحَةً لِأَصْلِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، كَأَزَلِيَّةِ الْعَالَمِ، أَوْ نَفْيِ الصِّفَاتِ، طَلَبَ إِبْطَالَ الدَّلِيلِ، وَإِبْطَالَ الْمَذْهَبِ. وَهُوَ بِذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ قَدْ بَيَّنَّ أَيْضًا أَنَّ انْفِرَادَ

الْعَقْلِ عَنِ النَّقْلِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ آخِذٌ إِلَى الضَّلَالِ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ حِينَ يُسَمِّي الْمَسْأَلَةَ "فِي إِبْطَالِ مَذْهَبِهِمْ". وَالْأَمْرُ الثَّانِي، إِنْ كَانَ حُكْمُ الْفَلَاسِفَةِ غَيْرَ مُخَالَفٍ لِأَصْلِ شَرْعِيٍّ صَرِيحٍ، طَلَبَ حَيْثُ دُفِعَ فَقَطُ إِبْطَالِ الدَّلِيلِ، أَوْلَيْتُغْلَ إِظْهَارِ خَلَلِ الدَّلِيلِ، لَيْسَ لِإِبْطَالِ الْمَذْهَبِ، لِأَنَّ الْمَذْهَبَ هُوَ مُوَافِقٌ لِمَذْهَبِ الشَّرْعِ، بَلْ لِيَبَيِّنَ أَنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا يُوصَلُ إِلَيْهَا بِطَرِيقِ الشَّرْعِ فَقَطُ، وَأَنَّ الْعَقْلَ الْمُجَرَّدَ هُوَ قَاصِرٌ عَنْهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ حِينَ يُسَمِّي الْمَسْأَلَةَ "فِي تَعْجِيزِهِمْ عَنِ الْقَوْلِ"، أَيَّ أَنَّ الْقَوْلَ صَحِيحٌ، لَكِنْ هُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِهِ، لِأَنَّ الْأَدَاةَ غَيْرَ مُوَافِقَةٍ.

أَمَّا زُودُ الْغَزَالِيِّ بِعَيْنِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَقَدْ اِسْتَمَلَتْ عَلَى عِشْرِينَ مَسْأَلَةً، وَالْمَسْأَلَةُ الْأُولَى هِيَ هَذِهِ "إِبْطَالُ مَذْهَبِهِمْ فِي أَرْبَعَةِ الْعَالَمِ". وَقَدْ جَاءَ هُمْ فِيهَا بِأَرْبَعَةِ آدِلَةٍ عَلَى قَدَمِهِ وَامْتِنَاعِ حُدُوثِهِ. وَنَحْنُ كُنَّا مُنْذَ عَشْرِ سِنِينَ قَدْ شَرَحْنَا الدَّلِيلَ الْأَوَّلَ، وَفِي هَذَا الشَّرْحِ إِنَّمَا نَأْتِي عَلَى الدَّلِيلِ الثَّانِي ذِي الصَّبِغَةِ. وَبِهِ الْقُوَّةُ.

لطفی خیر اللہ

الصَّبِغَةُ الْأُولَى لِلدَّلِيلِ الثَّانِي

I- قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ "زَعَمُوا أَنَّ الْقَائِلَ بِأَنَّ الْعَالَمَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ لَيْسَ يَخْلُو إِمَّا أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ بِالذَّاتِ لَا بِالزَّمَانِ كَتَقَدُّمِ الْوَاحِدِ عَلَى الْاِثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ بِالطَّبَعِ¹، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي الْوُجُودِ الزَّمَانِي²، وَكَتَقَدُّمِ الْعِلَّةِ عَلَى الْمَعْلُولِ³، مِثْلَ تَقَدُّمِ حَرَكَةِ الشَّخْصِ عَلَى حَرَكَةِ الظِّلِّ التَّابِعِ لَهُ، وَحَرَكَةِ الْيَدِ مَعَ حَرَكَةِ الْحَاتِمِ، وَحَرَكَةِ الْيَدِ فِي الْمَاءِ مَعَ حَرَكَةِ الْمَاءِ⁴، فَإِنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الزَّمَانِ، وَبَعْضُهَا عِلَّةٌ وَبَعْضُهَا مَعْلُولٌ إِذْ يُقَالُ تَحَرَّكَ الظِّلُّ لِحَرَكَةِ الشَّخْصِ، وَتَحَرَّكَ الْمَاءُ لِحَرَكَةِ الْيَدِ فِي الْمَاءِ، وَلَا يُقَالُ تَحَرَّكَ الشَّخْصُ لِحَرَكَةِ الظِّلِّ، وَتَحَرَّكَتِ الْيَدُ لِحَرَكَةِ الْمَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَسَاوِيَةً⁵.

فَإِنْ أُرِيدَ بِتَقَدُّمِ الْبَارِي عَلَى الْعَالَمِ هَذَا⁶ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ حَادِثَيْنِ أَوْ قَدِيمَيْنِ، وَاسْتِحَالِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَدِيمًا وَالْآخَرُ حَادِثًا⁷، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ الْبَارِيَّ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ وَالزَّمَانِ لَا بِالذَّاتِ بَلْ بِالزَّمَانِ⁸، فَإِذَنْ قَبْلَ وُجُودِ الْعَالَمِ وَالزَّمَانِ زَمَانٌ⁹ كَانَ الْعَالَمُ فِيهِ مَعْدُومًا إِذْ كَانَ الْعَدَمُ سَابِقًا عَلَى الْوُجُودِ¹⁰، وَكَانَ اللَّهُ سَابِقًا بِمُدَّةٍ مَدِيدَةٍ لَهَا طَرْفٌ مِنْ جِهَةِ الْآخِرِ وَلَا طَرْفَ لَهَا مِنْ جِهَةِ الْأَوَّلِ¹¹. فَإِذَنْ قَبْلَ الزَّمَانِ زَمَانٌ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَهُوَ مُتَنَاقِضٌ¹². وَلَا جِلْهَ يَسْتَحِيلُ الْقَوْلُ بِجُدُوثِ الزَّمَانِ¹³ وَإِذَا وَجِبَ قَدَمُ الزَّمَانِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ قَدْرِ الْحَرَكَةِ، وَجِبَ قَدَمُ الْحَرَكَةِ وَوَجِبَ قَدَمُ الْمُتَحَرِّكِ الَّذِي يَدُومُ الزَّمَانُ بِدَوَامِ حَرَكَتِهِ¹⁴.

شَرْح -I-

(1) [زعموا... فَإِنَّهُ بِالطَّبَعِ]، لَيْسَ يَخْلُو الْقَوْلُ بِتَأَخُّرِ الْعَالَمِ عَنِ اللَّهِ، وَتَقَدُّمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ، إِمَّا التَّقَدُّمُ بِالذَّاتِ، أَوْ التَّقَدُّمُ بِالزَّمَانِ. وَالغَزَالِيُّ يَذْكُرُ أَوَّلًا مَعْنَى التَّقَدُّمِ بِالذَّاتِ، ثُمَّ يُبَيِّنُ عَلَى لِسَانِ الْفَلَسَفَةِ أَنَّ ذَلِكَ إِمَّا يُفْضِي إِلَى نَقِيضِ مَقْصُودِ مُنْبِئِي الْخُدُوثِ. إِذِ التَّقَدُّمُ وَالتَّأَخُّرُ هُمَا مَعْنَيَانِ مُتَضَافِيَانِ، أَعْنِي أَنَّ مَفْهُومَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِمَّا يُقَالُ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْآخَرِ، فَالْمُتَقَدِّمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى مُتَأَخَّرٍ، وَالتَّأَخَّرُ مُتَأَخَّرٌ عَنِ مُتَقَدِّمٍ. لِذَلِكَ فَالْأَنْحَاءُ الَّتِي يُقَالُ بِهَا أَحَدُهُمَا هِيَ عَلَى عَدَدِ أَنْحَاءِ الْآخَرِ. وَأَرْسَطُو فِي كِتَابِ "الْمَقُولَاتِ" كَانَ قَدْ أَحْصَى أَصْنَافًا خَمْسَةً مِنَ الْمُتَقَدِّمِ: الْمُتَقَدِّمُ بِالزَّمَانِ، وَهُوَ مَا زَمَانُهُ أَطْوَلُ مِنْ زَمَانِ الْمُتَأَخَّرِ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْآنِ الْحَاضِرِ، كَمُوسَى هُوَ قَبْلَ عِيسَى. وَالْمُتَقَدِّمُ بِالْمَرْتَبَةِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ مَبْدَأً لِشَيْءٍ آخَرَ، أَوْ يَكُونُ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى الْمَبْدَأِ، مِثَالُ ذَلِكَ، الْخُدُودُ وَالْأَصُولُ الْمَوْضُوعَةُ فِي عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْمَبْدَأِ لِسَائِرِ مَطَالِبِ هَذَا الْعِلْمِ، إِذَنْ فَهِيَ قَبْلُ، أَمَّا الشَّكْلُ الْمُلْقَبُ بِالْحِمَارِيِّ، مِثَالًا، فَهُوَ قَبْلَ الْمُلْقَبِ بِالْعَرُوسِ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمَبْدَأِ، إِذِ الْأَوَّلُ مَنْزِلَتُهُ الْعِشْرُونَ، وَالثَّانِي، السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ. وَنَحْوُ ثَالِثٍ وَهُوَ التَّقَدُّمُ بِالشَّرْفِ وَالِاعْتِبَارِ، كَتَقَدُّمِ قُرَيْشٍ عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ. ثُمَّ نَحْوَانِ آخِرَانِ بِمَا لُهُمَا دُخُولٌ وَاضِحٌ فِي هَذَا النَّظَرِ، وَفِي كَثِيرٍ غَيْرِهِ مِنْ مَبَاحِثِ الْفَلَسَفَةِ، أَوْهُمَا التَّقَدُّمُ بِالطَّبَعِ، وَقَدْ عَرَفَهُ أَرْسَطُو بِقَوْلِهِ "مَا لَا يَرْجِعُ بِالتَّكَاثُفِ فِي لُزُومِ الوجودِ" وَجَعَلَ عَلَيْهِ مِثَالًا، الْوَاحِدَ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْإِثْنَيْنِ، أَيَّ أَنَّ الْوَاحِدَ هُوَ قَبْلَ الْإِثْنَيْنِ بِالطَّبَعِ.

وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ لَزِمَ مِنْ وُجُودِ شَيْءٍ ثَانٍ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ أَوَّلٌ مَوْجُودًا،
وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الشَّيْءِ الْأَوَّلِ وُجُودُ الثَّانِي، كَانَ الْأَوَّلُ مُتَقَدِّمًا، وَالثَّانِي مُتَأَخِّرًا.
وَلَا تَفْهَمُ مِنْ لُزُومِ وُجُودِ الْأَوَّلِ مِنَ الثَّانِي أَنَّ الثَّانِي هُوَ عِلَّةٌ مُوجِبَةٌ لَوْجُودِ
الْأَوَّلِ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الثَّانِي إِذْ هُوَ مَوْجُودٌ، فَلَا مَحَالَةَ فَإِنَّ الْأَوَّلَ هُوَ أَيْضًا
مَوْجُودٌ. وَلَيْسَ إِنْ كَانَ الْأَوَّلُ مَوْجُودًا، فَلَا مَحَالَةَ فَإِنَّ الثَّانِي مَوْجُودًا، وَهَذَا
هُوَ مَعْنَى "مَا لَا يَزِجُ بِالتَّكَاثُفِ". وَيُفْهَمُ ذَلِكَ مِنَ الْمِثَالِ، فَإِنَّ الْإِثْنَيْنِ مَتَى
وُجِدَ، فَقَدْ وُجِدَ الْوَاحِدُ ضَرُورَةً، لَكِنْ لَا عَلَى أَنَّ الْإِثْنَيْنِ عِلَّةٌ الْوَاحِدِ، بَلْ
عَلَى مَعْنَى أَنَّ ثُبُوتَهُ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِ الْوَاحِدِ. وَالْعَكْسُ غَيْرٌ وَاجِبٌ، أَي
لَيْسَ إِثْبَاتُ الْوَاحِدِ يُوجِبُ إِثْبَاتَ الْإِثْنَيْنِ لَا مَحَالَةَ، بَلْ قَدْ يُوْجَدُ الْوَاحِدُ وَلَا
يَكُونُ الْإِثْنَانِ الْبَتَّةَ. لِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ الْوَاحِدَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْإِثْنَيْنِ. أَمَّا الثَّانِي
مِنْ نَحْوِ الْمُتَقَدِّمِ الْمَدْكُورَيْنِ، فَالْمُتَقَدِّمُ بِالسَّبَبِيَّةِ، وَيَصِحُّ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ
مُتَقَدِّمٌ بِالطَّبَعِ، وَقَدْ عَرَفَهُ أَرِسْطُو بِقَوْلِهِ "فَإِنَّ السَّبَبَ مِنَ الشَّيْئَيْنِ اللَّذَيْنِ
يَزِجَعَانِ بِالتَّكَاثُفِ فِي لُزُومِ الْوُجُودِ عَلَى أَيِّ جِهَةٍ كَانَ سَبَبًا لَوْجُودِ شَيْءٍ
آخَرَ، فَبِالْوَاجِبِ يُقَالُ إِنَّهُ مُتَقَدِّمٌ بِالطَّبَعِ"، إِذْ قَدْ يَكُونُ شَيْئَانِ يَتَكَافَأَانِ فِي
لُزُومِ الْوُجُودِ، أَعْنِي أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا لَازِمًا مِنَ وُجُودِ الْآخَرَ، وَالْآخَرُ أَيْضًا
لَازِمًا مِنَ وُجُودِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَدْ يَعْضُضُ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ، فِيمَا أَلَّا يَكُونُ وَاحِدًا
مِنْهُمَا سَبَبًا لِالْآخَرَ، مِثَالُ ذَلِكَ فِي الضَّعْفِ وَالتَّصْفِ، إِذِ الضَّعْفُ لَازِمٌ مِنَ
التَّصْفِ، وَالتَّصْفُ لَازِمٌ مِنَ الضَّعْفِ، وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا سَبَبٌ لِالْآخَرَ، فَإِذَا
يُقَالُ هُمَا مَعًا بِالطَّبَعِ. وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سَبَبًا لِالْآخَرَ، وَهَذَا هُوَ

الْمُتَقَدِّمُ بِالسَّبَبِيَّةِ. وَأَرَسَطُو يَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مِثَالًا وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمَوْجُودُ، وَالْقَوْلُ الصَّادِقُ "الْإِنْسَانُ مَوْجُودٌ". إِذْ أَنَّ وُجُودَ الْإِنْسَانِ فِي الْأَعْيَانِ لَا يَزِمُ عَنْ صِدْقِ الْقَوْلِ "الْإِنْسَانُ مَوْجُودٌ"، أَيْ أَنَّ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ يَلْزِمُهُ لَا مَحَالَةَ عَلَى جِهَةِ الدَّلَالَةِ وَوُجُودَ الْإِنْسَانِ فِي الْأَعْيَانِ. لَكِنَّ صِدْقَ الْقَوْلِ "الْإِنْسَانُ مَوْجُودٌ" إِنَّمَا هُوَ لَا يَزِمُ عَنْ وُجُودِهِ فِي الْأَعْيَانِ، لَا عَلَى جِهَةِ الدَّلَالَةِ، بَلْ عَلَى جِهَةِ الْوُجُوبِ وَالْعِلِّيَّةِ، أَيْ أَنَّ عِلَّةَ الصِّدْقِ قَدْ كَانَتْ الْوُجُودَ. لِذَلِكَ فَإِنَّ السَّبَبَ فِي أَحَدِ الْمُتَكَاثِفِينَ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ بِالسَّبَبِيَّةِ. تَلَكُّمُ إِذَنْ هِيَ أَنْوَاعُ التَّقَدُّمِ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي كِتَابِ "الْمَقُولَاتِ".

(2) [مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ ... الْأَمَانِي]، يُرِيدُ أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ بِالطَّبَعِ عَلَى قَرِينِهِ قَدْ يَكُونُ أَيْضًا مَعَهُ بِالزَّمَانِ، لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي بَيْنَهَا تَقَدُّمٌ وَتَأَخُّرٌ بِالطَّبَعِ إِنْ كَانَتْ لَا زَمَانِيَّةً، فَلَا يُمْكِنُ أَصْلًا أَنْ يَكُونَ بَيْنَهَا أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّسَبَةِ الزَّمَانِيَّةِ، كَالْمِثَالِ الْمَذْكُورِ آفِنًا فِي الْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ. وَإِنْ كَانَتْ زَمَانِيَّةً، فَجَازَتْ لهُمَا إِذِنْ النَّسَبَةُ الزَّمَانِيَّةُ، كَالْمَعِيَّةِ، مَعَ نِسَبَةِ التَّقَدُّمِ بِالطَّبَعِ. وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي نَوْعِ التَّقَدُّمِ بِالْعِلِّيَّةِ الَّذِي سَيَذْكُرُهُ الْآنَ. إِذْ يُقَالُ أَيْضًا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ بِالْعِلِّيَّةِ مُتَقَدِّمٌ بِالطَّبَعِ وَبِالذَّاتِ.

(3) [وَتَقَدَّمَ الْعِلَّةُ عَلَى الْمَعْلُولِ]، يُرِيدُ أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ بِالْعِلِّيَّةِ هُوَ مُتَقَدِّمٌ بِالذَّاتِ وَلَيْسَ بِالزَّمَانِ. إِذَنْ فَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِحْدَاثِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْمُحْدَثِ وَالْحَادِثِ زَمَانٌ، إِذْ هُمْ قَدْ شَرَطُوا، أَعْنِي الْمُتَكَلِّمِينَ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ أَنْ يَكُونَ

مَسْبُوقًا بِالْعَدَمِ سَبْقًا زَمَانِيًّا، فَوَجِبَ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْمُحَدِّثُ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ بِالزَّمَانِ. فَإِذْ لَمْ يَجِبْ هَذَا الشَّرْطُ، لَمْ يَلْزَمْ إِذَنْ مِنَ الْقَوْلِ بِقَدَمِ الْعَالَمِ، وَهُوَ رَفْعُ التَّأخْرِ الزَّمَانِيِّ عَنْهُ، بِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُولٍ أَصْلًا وَلَيْسَ بِمُحَدِّثٍ.

(4) [مثل تُقَدِّمُ حَرَكَةً... مَعَ حَرَكَةِ الْمَاءِ]، إِهْمَا أَمْثَلَةٌ مَشْهُورَةٌ لِيَبَانَ أَنَّ نِسْبَةَ الْمَعْلُولِيَّةِ مُتَنَزِّهَةٌ عَنِ مَعْنَى الزَّمَانِيَّةِ، إِذْ لَوْ كَانَ التَّفَقُّدُ بِالزَّمَانِ شَرْطًا فِي أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُحَدِّثًا لِشَيْءٍ، لَكَانَ مُمْتَنِعًا، حَيْثُ غَابَ هَذَا الشَّرْطُ، وَتَسَاوَى الشَّيْئَانِ فِي الزَّمَانِ، أَيَّ كَانَا فِيهِ مَعًا، أَنْ يُبْمِيزَ الدِّهْنُ الْعِلَّةَ مِنَ الْمَعْلُولِ. فَحَرَكَةُ الشَّخْصِ وَحَرَكَةُ ظِلِّهِ هُمَا مَعًا، وَحَرَكَةُ الْيَدِ وَحَرَكَةُ الْحَاتِمِ، وَحَرَكَةُ الْيَدِ فِي الْمَاءِ وَحَرَكَةُ الْمَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالدِّهْنُ حَاكِمٌ بِأَنَّ حَرَكَةَ الشَّخْصِ إِتْمَا هِيَ عِلَّةٌ لِحَرَكَةِ الظِّلِّ لَا الْعَكْسُ، وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَمْثَلَةِ. فَيَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّ التَّفَقُّدَ بِالْعِلِّيَّةِ لَا يَقْتَضِي الْبَيِّنَةَ التَّفَقُّدَ بِالزَّمَانِيَّةِ. وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ كِتَابِ "الْمَقُولَاتِ" لِابْنِ سِينَا، فَصُلِّ التَّفَقُّدُ وَالتَّأخُّرُ، وَمِنْ "الْإِهْيَاتِ الشِّفَاءِ".

(5) [وَإِنْ كَانَتْ مُتَسَاوِيَةً]، أَيَّ وَإِنْ كَانَتْ مَعًا فِي الزَّمَانِ.

(6) [فَإِنْ أُريدَ... هُنَا]، هُنَا يَبْدَأُ الْإِزَامُ الْفَلَّاسِفَةَ لِلْمُخَالَفِينَ عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فِي التَّفَقُّدِ. فَإِنْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْمُتَكَلِّمَةُ تُقْرُونَ بِأَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى مُتَقَدِّمًا عَلَى الْعَالَمِ بِالْعِلِّيَّةِ فَقَطْ، وَإِذْ أَنَّ الشَّيْءَ مِنْ حَيْثُ هُوَ عِلَّةٌ فَمَعَ مَعْلُولِهِ ضَرُورَةً مِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْلُولٌ، فَلَا مَحَالَةَ الْبَارِيُّ هُوَ مَعَ الْعَالَمِ وَالْعَالَمُ هُوَ مَعَ الْبَارِيِّ.

وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ قَدْ يَكُونُ لَهُ فِي ذَاتِهِ تَقَدُّمٌ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ بِالزَّمَانِ مَثَلًا، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ لَهُ عِلَّةٌ، صَارَ الْإِثْنَانِ مَعًا بِالزَّمَانِ. لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مَعِيَّتُهُمَا بِالزَّمَانِ مِنْ جِهَةِ الْعِلِّيَّةِ وَالْمَعْلُولِيَّةِ بِمَانِعَةٍ أَصْلًا لِأَنَّ يَكُونُ لِلثَّانِي تَأَخُّرٌ آخَرَ عَلَى الْأَوَّلِ غَيْرُ التَّأَخُّرِ بِالْعِلِّيَّةِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ النَّارَ هِيَ مُتَقَدِّمَةٌ بِالزَّمَانِ عَلَى اشْتِعَالِ الْقُطْنِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي آنٍ مَا يَصِيرُ الْقُطْنُ مُشْتَعَلًا حَقًّا، أَيُّ فِي آنٍ مَا تَصِيرُ فِيهِ النَّارُ عِلَّةً بِالْفِعْلِ لِاشْتِعَالِ الْقُطْنِ الْمَعْلُولِ، فَلَا إِثْنَانٍ حِينَئِذٍ يَكُونَانِ مَعًا بِالزَّمَانِ قَطْعًا. وَالْأَمثلةُ الْمَأْخُوذَةُ أَوْلًا إِنَّمَا تُفِيدُ هَذَا الْخَصَرَ فِي التَّقَدُّمِ بِالْعِلِّيَّةِ فَقَطْ، إِذْ أَنَّ حَرَكَةَ الْيَدِ مَثَلًا، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهَا الْبَتَّةُ وَجُودٌ مُتَقَدِّمٌ بِالزَّمَانِ عَلَى حَرَكَةِ الْمِفْتَاحِ زَائِدًا عَلَى الْعِلِّيَّةِ بِعَيْنِهَا، بَلْ نَفْسُ وَجُودِ ذَاتِهَا هُوَ وَجُودُهَا عِلَّةً لِحَرَكَةِ الْمِفْتَاحِ.

(7) [الزَّم... وَالْآخَرَ حَادِثًا]، الْحَادِثُ فِي عُرْفِ الْمُتَكَلِّمِينَ هُوَ مَا وَجُودُهُ مَسْبُوقٌ بِعَدَمِهِ، وَالْقَدِيمُ مَا وَجُودُهُ غَيْرُ مَسْبُوقٍ بِعَدَمِهِ. فَيَلْزَمُ أَنَّ الْحَادِثَ لَهُ أَنْ فِي وَجُودِهِ، كُلُّ الْأَوْقَاتِ الْمَفْرُوضَةِ قَبْلَ ذَلِكَ الْآنِ مُصَاحِبٌ لَهَا بِالْعَدَمِ. أَمَّا الْقَدِيمُ فَكُلُّ وَقْتٍ يُفْرَضُ وَكُلُّ وَقْتٍ آخَرَ قَبْلَهُ إِلَى غَيْرِ أَوَّلِ مَفْرُوضٍ، فَإِنَّ الْقَدِيمَ مُصَاحِبٌ لَهَا بِالْوُجُودِ. إِذَنْ فَلَوْ كَانَ الْبَارِيُّ مُتَقَدِّمًا عَلَى الْعَالَمِ بِالْعِلِّيَّةِ فَقَطْ، وَنِسْبَةُ الْعِلِّيَّةِ تُوجِبُ الْمَعِيَّةَ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِذَا وَقْتُ الْحَادِثِ مَعَ وَقْتِ الْقَدِيمِ، وَالْقَدِيمُ لَيْسَ لَهُ وَقْتُ كَانَ فِيهِ غَيْرُ مَوْجُودٍ، فَاسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ الْحَادِثُ حَادِثًا، بَلْ قَدِيمٌ. هَذَا خَلْفٌ. وَإِنَّمَا أَنْ

يُصَاحِبُ الْقَدِيمُ الْحَادِثَ، فَاسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ الْقَدِيمُ قَدِيمًا، بَلْ حَادِثٌ.
هَذَا خَلْفٌ.

(8) [وإن أريد... بل بالزمان]، هُنَا يَبْدَأُ الزَّمَامُ الْفَلَّاسِفَةَ لِلْمُخَالِفِينَ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي مِنَ التَّقَدُّمِ. فَأَعْلَمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ إِنَّمَا يَقْرُونَ بِأَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ فِي زَمَانٍ، وَأَنَّ الْقَدِيمَ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ زَمَانِيٌّ، وَأَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ بِأَوْقَاتٍ لَامْتِنَاهِيَّةٍ. لَكِنَّ الزَّمَانَ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَا يَرَاهُ الْحُكَمَاءُ بَنَاتًا، لِأَسِيْمَا مِنْهُمْ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ فِيهِ مَذْهَبَ أَرِسْطُو، كَابْنِ سِينَا. إِذِ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْمَشَائِيئِينَ أَنَّ الزَّمَانَ هُوَ مِقْدَارُ حَرَكَةِ الْفَلَكِ الْأَفْصَى بِحَسَبِ الْمُتَقَدِّمِ وَالْمُتَأَخِّرِ. قَالَ أَرِسْطُو: "فَعَلَى هَذَا الْفِيَسَ إِذِنَّ الزَّمَانُ هُوَ عَدَدُ الْحَرَكَةِ مِنْ قَبْلِ الْمُتَقَدِّمِ وَالْمُتَأَخِّرِ" "السَّمَاعُ الطَّبِيعِيُّ"، الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ، 219 ب. وَلِأَنَّ الزَّمَانَ قَدِيمًا، أَعْنِي لَا أَوَّلَ لَهُ، وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْحَرَكَةُ قَدِيمَةً، أَيْ لَيْسَتْ هُنَاكَ حَرَكَةٌ إِلَّا وَقَبْلَهَا حَرَكَةٌ، إِذَا فَالْفَلَكُ قَدِيمًا. لِذَلِكَ فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَمَّا أَوْجَبَتْ أَنْ لَا أَوَّلَ لِلزَّمَانِ، لَزِمَهَا لِاحْتِمَالِهِ أَنْ تُوجِبَ أَنْ لَا مَبْدَأَ لِلْعَالَمِ. أَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ فَوَصَفُوهُمْ لِلْقَدَمِ وَالْحُدُوثِ وَصَفَ زَمَانِيًّا، فَقَالُوا الْحَادِثُ مَا لَهُ أَوَّلٌ فِي الزَّمَانِ، وَالْقَدِيمُ مَا لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ، فَهَذَا فِي ظَاهِرِهِ قَدْ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ أَيْضًا قَدِيمًا، لِأَنَّ الزَّمَانَ يَكُونُ حِينِيذٍ قَدِيمًا. لِذَلِكَ فَهُمْ لِيُثْبِتُوا الْوَصْفَ وَيَمْتَعُوا اللُّزُومَ، ذَهَبَ عَامَّتُهُمْ إِلَى إِنكَارِ وُجُودِ الزَّمَانِ أَصْلًا. أَنْظُرْ فِي ذَلِكَ "الْمَوَاقِفُ" لِعَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ الْإِيْجِي الْمَتَوَفَّى سَنَةَ 756 هِجْرِيَّةً، الْمَقْصِدُ السَّابِعُ، وَشَرْحُهُ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَرَجَانِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ 816 هِجْرِيَّةً.

(9) [فَإِذْ... زَمَانًا]، هَذَا إِلْتِزَامٌ بِحَسَبِ الْقِسْمَةِ الْجَدَلِيَّةِ فَقَطْ، وَلَيْسَ بِحَسَبِ قَوْلِ الْمُخَالِفِ، لِأَنَّ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَةَ الْمُثْبِتَةَ لِلْحُدُوثِ الزَّمَانِيِّ مُنْكَرَةٌ أَيْضًا لِلزَّمَانِ، إِذْ لَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهَا هَذَا الْإِلْتِزَامُ. فَالزَّمَانُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ بِعَارِضٍ لِحَرَكَةٍ مَوْجُودَةٍ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ أَوْقَاتٍ مُتَوَهِّمَةٍ، وَمَقَادِيرٍ مُقَدَّرَةٍ فِي الذِّهْنِ، أَمَا فِي الْخَارِجِ فَالْمَوْجُودُ إِمَّا مَعِيَّةٌ، أَوْ تَرَاحِي مَجْرَدٌ، قَدْ نَتَوَهَّمُ لَهُ بِالذِّهْنِ أَوْقَاتًا. وَهَذَا مَا سَيَكُونُ أَيْضًا مَفْهُومًا مِنْ اعْتِرَاضِ الْعَرَالِيِّ. لِذَلِكَ بَجَدُّهُمْ فِي كَلَامِهِمْ عَنِ الْحُدُوثِ وَالْقَدَمِ، وَتَقَدُّمِ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ، أَكْثَرَ اسْتِعْمَالِهِمْ إِمَّا لِلْفِظَةِ "وَقْتُ"، وَأَوْقَاتٌ"، وَلَا يَتَّخِذُونَ إِلَّا قَلِيلًا لَفْظَةَ "الزَّمَانُ" الْفَاشِيَّةَ فِي عِبَارَةِ الْفَلَسَفَةِ، وَالَّتِي يَلْزُمُهَا عِنْدَهُمْ ضَرُورَةُ الْقَوْلِ بِقَدَمِ الْعَالَمِ لِقَدَمِ الزَّمَانِ.

(10) [كَانَ الْعَالَمُ... عَلَى الْوُجُودِ]، كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ الْعَالَمُ، وَالزَّمَانُ سِوَى اللَّهِ، فَهُوَ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ حَدِيثٌ، فَالزَّمَانُ حَدِيثٌ. وَالْحُدُوثُ عَلَى قَوْلِ الْمُخَالِفِ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَوْصُوفِ بِهِ وُجُودٌ أَوَّلٌ، أَيُّ هُوَ لَهُ وَقْتُ وُجُودِهِ، كُلُّ وَقْتٍ آخَرَ قَبْلَهُ، وَكُلُّ وَقْتٍ آخَرَ قَبْلَ ذَلِكَ الْقَبْلِ إِلَى غَيْرِ نَهَائِيَّةٍ كَانَ فِيهِ مَعْدُومًا. إِذْ فَالْعَدَمُ السَّابِقُ عَلَى وُجُودِ الْحَادِثِ إِمَّا هُوَ عَدَمٌ أَرِيئِي لَأَوَّلَ لَهُ.

(11) [وَكَانَ اللَّهُ سَابِقًا... مِنْ جِهَةِ الْأَوَّلِ]، يُرِيدُ أَنَّ الْعَدَمَ السَّابِقَ عَلَى الْعَالَمِ الْحَادِثِ لَا أَوَّلَ لَهُ فِي الزَّمَانِ، أَيُّ لَيْسَ هُوَ عَدَمًا مَسْبُوقًا بِوُجُودِهِ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ "لَا

طَرَفَ لَهَا مِنْ جِهَةِ الْأَوَّلِ"، فَمُدَّةُ الْعَدَمِ لَيْسَ لَهَا أَوَّلٌ فِي الزَّمَانِ. وَ"لَهَا طَرَفٌ مِنْ جِهَةِ الْآخِرِ"، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَهَا حُدٌّ مِنْ جِهَةِ النِّهَائَةِ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ، وَدُخُولِهِ فِي الوجودِ، إِذِ الوجودُ إِذَا هُوَ إِبْطَالٌ لِلْعَدَمِ.

(12) [إِذَنْ قَبْلَ... وَهُوَ مُتَنَاقِضٌ]، وَهَذَا هُوَ الزَّامُ الْفَيْلَسُوفِ لِلْمُخَالَفِ. وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الزَّمَانَ هُوَ مِنَ الْعَالَمِ، وَ إِبْتِائِكُمْ لِلْعَالَمِ أَنَّهُ حَادِثٌ، فَالزَّمَانُ حَادِثٌ. لَكِنَّ الحَادِثَ عِنْدَكُمْ هُوَ مَا تَقَدَّمَ الْقَدِيمِ عَلَى وُجُودِهِ زَمَانًا لِأَهْمِيَّةِ لَهُ فِي الْأَوَّلِ. فَلَرِمَ ضَرُورَةً أَنَّ الزَّمَانَ مَعًا هُوَ قَدِيمٌ وَلَيْسَ بِقَدِيمٍ، وَهُوَ حَادِثٌ وَلَيْسَ بِحَادِثٍ. وَذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ التَّنْفِيضَيْنِ كَمَا تَرَى.

(13) [وَلَأَجْلِهِ يَسْتَحِيلُ الْقَوْلُ بِحُدُوثِ الزَّمَانِ]، يُرِيدُ أَنَّهُ لِأَجْلِ أَنَّ الْقَوْلَ بِحُدُوثِ الزَّمَانِ يَلْزِمُهُ مُحَالٌ الْجَمْعُ بَيْنَ التَّنْفِيضَيْنِ، وَهُوَ أَنَّهُ حَادِثٌ وَلَيْسَ بِحَادِثٍ، وَمَا لَرِمَ مِنَ الْمُحَالِ مُحَالٌ، كَانَ الْقَوْلُ بِحُدُوثِ الزَّمَانِ مُحَالًا. وَنَقِيضُ الْمُحَالِ وَاجِبٌ. إِذَنْ فَالزَّمَانُ قَدِيمٌ. وَالزَّمَانُ مِنَ الْعَالَمِ. إِذَنْ فَالْعَالَمُ قَدِيمٌ. وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْحُجَّةَ فِي قَدَمِ الزَّمَانِ قَدْ اسْتَعْمَلَهَا أَرِسْطُو فِي كِتَابِ السَّمَاعِ الطَّبِيعِيِّ، وَاسْتَعْمَلَهَا أَيضًا ابْنُ سِينَا فِي سَمَاعِ الشِّقَاءِ. وَتَحْرِيرُهَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ الزَّمَانُ حَادِثًا، وَالْحَادِثُ مَا كَانَ لَهُ قَبْلُ قَدْ كَانَ فِيهِ غَيْرٌ مَوْجُودٍ، وَبَعْدُ صَارَ فِيهِ مَوْجُودًا، إِذَنْ فَالْقَبْلُ وَالْبَعْدُ اللَّذَانِ يَعْرِفُ بِهِمَا تَجَدُّدُ الزَّمَانِ الحَادِثِ مِنْ حَالِ الْعَدَمِ السَّابِقِ إِلَى حَالِ الوجودِ اللاحِقِ هُمَا مُتَقَدِّمَانِ لَا مُحَالَةَ عَنِ الْمُتَقَدِّمِ وَالْمُتَأَخِّرِ الَّتِي يَتَّبِعُهَا الدِّينِ هُمَا لِنَفْسِ الزَّمَانِ الحَادِثِ. فَبَانَ إِذَنْ أَنَّ

قَبْلَ كُلِّ زَمَانٍ زَمَانٌ إِلَى غَيْرِ أَوَّلٍ. فَأَلْزَمَانٌ قَدِيمٌ قَطْعًا. انظُرْ أَرَسْطُو
 "السَّمَاعُ الطَّبِيعِيُّ"، الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ، 251ب، 10. وَابْنُ سِينَا، "الشِّفَاءُ،
 السَّمَاعُ الطَّبِيعِيُّ"، الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ، الْفَصْلُ الْحَادِي عَشَرَ.

(14) [وَأِذَا وَجِبَ... بِدَوَامِ حَرَكَتِهِ]، إِنَّ لُزُومَ قَدَمِ الْحُرْكََةِ مِنْ قَدَمِ الزَّمَانِ، وَمِنْ قَدَمِ
 الْحُرْكََةِ قَدَمِ الْمُتَحَرِّكِ، لِأَنَّ الْحُرْكََةَ عَرَضٌ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ، إِنَّمَا يَجِبُ عَلَى قَوْلِ
 مَنْ أَثْبَتَ الزَّمَانَ وَجَعَلَهُ مِقْدَارَ الْحُرْكََةِ. لَكِنَّا قَدْ ذَكَرْنَا آتِفًا بِأَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ
 هُمْ عَلَى غَيْرِ هَذَا الرَّأْيِ، لِذَلِكَ فَقَدْ لَا يَتَوَجَّهَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْإِلْزَامُ، وَإِعْتِرَاضُ
 الْعَرَالِيِّ مَبْنَاهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى.

II- قَالَ الْعَرَالِيُّ "الْإِعْتِرَاضُ"¹ هُوَ أَنَّ يُقَالَ الزَّمَانُ حَادِثٌ وَمَخْلُوقٌ وَلَيْسَ
قَبْلَهُ زَمَانٌ أَصْلًا²، وَمَعْنَى قَوْلِنَا إِنَّ اللَّهَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ وَالزَّمَانِ أَنَّهُ
سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا عَالَمٌ، ثُمَّ كَانَ وَمَعَهُ عَالَمٌ، وَمَفْهُومُ قَوْلِنَا كَانَ وَلَا عَالَمٌ وَجُودُ
ذَاتِ الْبَارِي وَعَدَمُ ذَاتِ الْعَالَمِ فَقَطْ، وَمَفْهُومُ قَوْلِنَا كَانَ وَمَعَهُ عَالَمٌ وَجُودُ
الذَّاتَيْنِ فَقَطْ، فَغَنِي بِالْتَقَدُّمِ انْفِرَادُهُ بِالْوُجُودِ فَقَطْ، وَالْعَالَمُ كَشَخْصٍ
وَاحِدٍ³، وَلَوْ قُلْنَا كَانَ اللَّهُ وَلَا عَيْسَى مَثَلًا، ثُمَّ كَانَ وَعَيْسَى مَعَهُ، لَمْ يَتَضَمَّنِ

اللفظ إلا وجود ذات وعدم ذات، ثم وجود ذاتين، وليس من ضرورة ذلك
تقدير شيء ثالث، وإن كان الوهم لا يسكت عن تقدير شيء ثالث وهو
الزمان، فلا النفات إلى أعاليط الأوهام⁴."

شرح -II-

(1) [الإعراض]، لقد بان فيما سلف أن الفلاسفة قد حصرت أصحاب
الحدث في حصلتين، فإما أن يقولوا بالمعية بين القديم والحادث، فيلزم
محال الجمع بين التقيضين، أعني كون الشيء قديماً وليس بقديم معاً، أو
حادثاً وليس بحادث. وإما أن يسلموا بتأخر العالم عن الباري تعالى
بالزمان، فيلزم قدم الزمان، وبقدمه إما يلزم قدم الحركة، وقدم المتحرك.
أما الخصلة الأولى فهي ملغية أصلاً وغير مطلوب تصحيحها، لأن

الدَّهَابِ إِلَيْهَا هُوَ مُسَاوٍ لِنَفْسِ التَّصْرِيحِ بِالْمُحَالِ، وَلَيْسَ الْمُحَالُ فِيهَا هُوَ
وَأَجَبًا فَقَطُّ عَلَى جِهَةِ الزُّرُومِ. إِذَنْ فَقَدْ بَقِيَتْ الْخُصْلَةُ الثَّانِيَةُ، وَالْإِعْتِرَاضُ
إِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا حِينَمَا نُصَحِّحُ مِنْهَا مَا قَدْ يَنْبَغِي تَصْحِيحُهَا.

(2) [هُوَ أَنْ يُقَالَ الزَّمَانُ حَدَثٌ... زَمَانٌ أَصْلًا]، فَالْإِعْتِرَاضُ هُوَ أَنَّا نُسَلِّمُ الْخُصْلَةَ الثَّانِيَةَ
وَلَا نُسَلِّمُ مَا أَوْجَبْتُمُوهُ مِنْ لَازِمِ مُحَالٍ. إِذْ نَحْنُ قَدْ نُوَافِقُكُمْ عَلَى سَبِيلِ
الْجَدَلِ بَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ حَقِيقَةٌ غَيْرٌ وَهَيْيَّةٌ، وَأَنَّهُ كَمَا تَقُولُونَ عَدَدٌ حَرَكَةٌ أَلْفَلِكِ
الْأَقْصَى. فَإِذَنْ فَالزَّمَانُ بِهَذَا الْمَعْنَى إِذْ هُوَ دَاخِلٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْعَالَمُ عِنْدَنَا
مَخْلُوقٌ حَدِيثٌ، فَوَاضِحٌ جِدًّا أَنَّهُ أَيْضًا هُوَ مَخْلُوقٌ وَحَادِثٌ. لَكِنْ نَحْنُ
حِينَمَا قُلْنَا بِتَرَاخِي الْعَالَمِ عَنِ الْقَدِيمِ، فَالزَّمَانُ أَنْتُمْ بَأَنَّهُ قَبْلَ زَمَانِ الْعَالَمِ زَمَانٌ
آخَرَ، إِذَنْ فَالزَّمَانُ قَدِيمٌ، وَالْحَرَكَةُ قَدِيمَةٌ، فَانْتُمْ إِنَّمَا قَدْ أَحَدْتُمْ الزَّمَانَ الَّذِي
قَبْلَ زَمَانِ الْعَالَمِ عَلَى الْمَعْنَى بَعِينِهِ الَّذِي هُوَ لَزِمَانِ الْعَالَمِ، فَلَزِمَ حِينَئِذٍ أَنْ
يَكُونَ الزَّمَانُ قَدِيمًا وَالْعَالَمُ قَدِيمًا أَيْضًا، بَعْدَ أَنْ وَضَعْنَاهُ حَدِيثًا مَخْلُوقًا. أَمَّا
نَحْنُ فَلَا نُسَلِّمُ بَأَنَّ الْعَالَمَ الْحَادِثَ هُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْقَدِيمِ بِزَمَانٍ أَصْلًا، عَلَى
مَعْنَى أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي بِهِ يَتَأَخَّرُ الْحَادِثُ عَنِ الْقَدِيمِ لَيْسَ هُوَ بَعِينِهِ الزَّمَانَ
الَّذِي تُثَبِّتُونَهُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْفَلَّاسِفَةُ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وُجُودًا حَقِيقِيًّا.

(3) [وَمَعْنَى قَوْلِنَا إِنَّ اللَّهَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى... كَشَخْصٍ وَاحِدٍ]، يُرِيدُ الْعَرَابِيُّ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْمَفْهُومَ
مِنْ قَوْلِنَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ، وَالْعَالَمُ هُوَ مُتَأَخِّرٌ، لَا يَفْتَضِي
إِثْبَاتَ قَبْلِ حَقِيقِيٍّ يَكُونُ بِوَاسِطَتِهِ الْمُتَقَدِّمُ مُتَقَدِّمًا، وَبَعْدِ حَقِيقِيٍّ يَتَأَخَّرُ

بِهِ الْمُتَأَخَّرُ، أَيُّ هُوَ لَا يَفْتَضِي إِثْبَاتَ زَمَانٍ حَقِيقِيٍّ لِأَوَّلٍ لَهُ كَمَا أَلْزَمْتَ
الْفَلَاسِفَةُ. فَإِنَّ نَحْنُ أَخَذْنَا الْقَضِيَّةَ الَّتِي نُسِبْتُمَا "إِنَّ اللَّهَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ
وَالزَّمَانِ"، وَحَصَرْنَا مَعْنَاهَا الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَنَقَيْنَا مِنْهُ مَا قَدْ يَصْحَبُ
مَفْهُومَهَا مِنْ وَهْمٍ، فَلَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا إِلَّا مَعْنَى كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ، أَعْنِي وَجُودَ
ذَاتِ الْبَارِي وَعَدَمَ الْعَالَمِ فَقَطْ، أَمَّا تِلْكَ الْوَاسِطَةُ "قَبْلُ" الَّتِي هِيَ بَيْنَهُمَا،
فَلَا حَقِيقَةَ لَهَا، بَلْ إِنَّمَا مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ. وَأَيْضًا مَعْنَى كَانَ اللَّهُ وَمَعَهُ الْعَالَمُ،
أَعْنِي وَجُودَ الذَّاتَيْنِ فَقَطْ، وَالْوَاسِطَةُ "بَعْدُ" الَّتِي بَيْنَهُمَا فَهِيَ مِنْ عَمَلِ
الْوَهْمِ فَقَطْ. إِذَنْ فَالْتَقَدُّمُ الْمَقْصُودُ إِنَّمَا هُوَ انْفِرَادُهُ بِالْوُجُودِ، وَالتَّأَخُّرُ، إِقْتِرَانُ
وُجُودِهِ بِوُجُودِ غَيْرِهِ، بِلَا زَمَانٍ حَقِيقِيٍّ يُصَحِّحُ هَذَا التَّقَدُّمَ وَالتَّأَخُّرَ.

(4) [وَلَوْ فُلْنَا كَانَ اللَّهُ وَلَا عَيْسَى مَثَلًا... إِلَى أَغْلِيظِ الْأَوْعَامِ]، يُرِيدُ بَلْ لَوْ عَبَرْنَا عَنْ كَوْنِ
الشَّيْءِ وَلَا شَيْءٍ، ثُمَّ كَوْنِ الشَّيْءِ وَمَعَهُ الشَّيْءِ، إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الْأَوَّلُ لَيْسَ
فِي زَمَانٍ أَصْلًا، كَالْبَارِي تَعَالَى، وَالشَّيْءُ الثَّانِي حَادِثًا فِي الزَّمَانِ الْحَقِيقِيِّ
كَعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يُفْهَمْ أَيْضًا مِنَ اللَّفْظِ إِلَّا الْوُجُودَ ذَاتٍ وَعَدَمَ ذَاتٍ،
ثُمَّ وَجُودَ ذَاتَيْنِ، وَلَيْسَ مِنْ ضَرُورَةِ إِثْبَاتِ شَيْءٍ ثَالِثٍ، وَهُوَ الزَّمَانُ الْحَقِيقِيُّ
الْمُفِيدُ لِتَقَدُّمِ ذَاتِ الْبَارِي الْمُقْتَرِنِ بِعَدَمِ عَيْسَى عَلَى ذَاتِهِ الْمُقْتَرِنَةِ بِوُجُودِ
عَيْسَى. بَلْ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ ثُبُوتِ
خَارِجِيٍّ إِطْلَاقًا. فَإِنَّ صَحَّ هَذَا الْمَعْنَى فِي مِثَالِ قَيْسٍ فِيهِ الْأَلْزَمِيٌّ إِلَى زَمَنِيٍّ
حَقِيقِيٍّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَنْ يَصِحَّ فِي الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ، وَهُوَ قِيَاسُ الْأَلْزَمِيِّ إِلَى
وُجُودِ الْعَالَمِ الْحَادِثِ فِي غَيْرِ الزَّمَانِ الْحَقِيقِيِّ.

III- قَالَ الْغَزَالِيُّ "فَإِنْ قِيلَ¹ لِقَوْلِنَا كَانَ اللَّهُ وَ لِعَالَمٍ مَفْهُومٌ ثَالِثٌ سِوَى
وُجُودِ الدَّاتِ وَعَدَمِ الْعَالَمِ²، بِدَلِيلٍ أَنَّا لَوْ قَدَّرْنَا عَدَمَ الْعَالَمِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَانَ
وُجُودُ ذَاتٍ وَعَدَمُ ذَاتٍ حَاصِلًا وَلَمْ يَصِحَّ أَنْ نَقُولَ كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ، بَلِ
الصَّحِيحُ أَنْ نَقُولَ يَكُونُ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ، وَنَقُولَ لِلْمَاضِي كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ³،
فَبَيَّنَ قَوْلُنَا "كَانَ" وَ "يَكُونُ" فَرْقًا، إِذْ لَيْسَ يَنْبُؤُ أَحَدُهُمَا مَنَابَ الْآخَرِ،
فَلِنَبْحَثَ عَمَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَرْقُ⁴، وَلَا شَكَّ فِي أَهْمَا لَا يَفْتَرِقَانِ فِي وُجُودِ
الدَّاتِ وَلَا فِي عَدَمِ الْعَالَمِ، بَلْ فِي مَعْنَى ثَالِثٍ، فَإِنَّا إِذَا قُلْنَا لِعَدَمِ الْعَالَمِ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا عَالَمٌ، قِيلَ لَنَا هَذَا حَطًّا، فَإِنَّ "كَانَ" إِنَّمَا يُقَالُ
عَلَى مَا مَضَى. فَدَلَّ أَنْ تَحْتَ لَفْظِ "كَانَ" مَفْهُومًا ثَالِثًا، وَهُوَ الْمَاضِي⁵،
وَالْمَاضِي بِذَاتِهِ هُوَ الزَّمَانُ، وَالْمَاضِي بغيرِهِ هُوَ الْحُرْكَةُ، فَإِنَّهَا تَمْضِي بِمُضِيِّ

الرَّيْمَانِ⁶، فَبِالضَّرُورَةِ يَلْزَمُ أَنَّ يَكُونَ قَبْلَ الْعَالَمِ زَمَانٌ قَدْ انْقَضَى حَتَّى انْتَهَى
إِلَى وُجُودِ الْعَالَمِ⁷."

III- شَرْح

(1) [إِن قِيلَ]، أَي وَإِنْ أَجَابَتِ الْفَلَسَفَةُ عَلَى مَا اعْتَرَضْنَا بِهِ، وَهُوَ أَنَّ
الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ "كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ"، "ثُمَّ كَانَ وَمَعَهُ الْعَالَمُ"، إِنَّمَا فَقَطَّ
إِنْفِرَادُ الدَّاتِ، ثُمَّ إِفْتِرَانُ الْعَبْرِ بِهَا، وَأَنَّ إِثْبَاتَ مَعْنَى حَقِيقِيٍّ تَحْتَ كَانَ
الْأُولَى، وَهُوَ التَّقْدُمُ الدَّائِي الرَّمَائِي، وَمَعْنَى حَقِيقِيٍّ أَيْضًا تَحْتَ كَانَ الثَّانِيَّةِ
وَهُوَ التَّأَخُّرُ الدَّائِي الرَّمَائِي، إِنَّمَا هُوَ فَقَطَّ مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ، وَلَيْسَ بِضَرُورِيٍّ
فِي نَفْسِهِ.

(2) [لِقَوْلِنَا كَانَ اللَّهُ... وَعَدَمَ الْعَالَمِ]، إِذْ فَقَدْ يَكُونُ جَوَابُ الْفَلَسَفَةِ عَلَى مَا قِيلَ
هَكَذَا : إِنَّا لَا نُوَافِقُكُمْ عَلَى إِدْعَائِكُمْ بِأَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ "كَانَ اللَّهُ وَلَا
عَالَمٌ" إِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ إِفْتِرَانِ دَاتِ بَعْدَمِ الْعَالَمِ، وَأَنَّ الْمَعْنَى الثَّلَاثَ سِوَاهُمَا، وَهُوَ

التَّقْدُمُ الدَّائِي الزَّمَانِي هَذَا الْإِفْتِرَانِ هُوَ زَائِدٌ، وَمِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ. وَالذِّي أَتَى
 بِهَذَا الْجَوَابِ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ سِينَا فِي إِلهِيَّاتِ الشِّفَاءِ الْجُزْءِ الثَّانِي، صَفْحَتَيْ
 .380، 379.

(3) [بِدَلِيلِ أَنَا لَوْ قَدَّرْنَا... كَانَ اللهُ وَلَا عَالَمٌ]، فَلَوْ كَانَ قَوْلُنَا "كَانَ اللهُ وَلَا عَالَمٌ" إِنَّمَا يَدُلُّ
 عَلَى مُجَرَّدِ إِفْتِرَانِ ذَاتِ بَعْدَمٍ، فَإِنَّ هَذَا الْإِفْتِرَانَ يُمَكِّنُ أَنْ نَفْرَضَهُ أَيضًا فِي
 الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَكُونُ حَاصِلًا فِيهِ، وَلَمْ يَجْزُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ نَقُولَ "كَانَ اللهُ وَلَا
 عَالَمٌ"، بَلْ "يَكُونُ اللهُ وَلَا عَالَمٌ". فَفِي الْمُسْتَقْبَلِ إِنَّمَا تَكُونُ الْعِبَارَةُ عَنْ هَذَا
 الْإِفْتِرَانِ مُجَرَّدَهُ صَحِيحَةً إِذَا دُلَّ عَلَيْهِ بِ"يَكُونُ"، وَفِي الْمَاضِي إِذَا دُلَّ عَلَيْهِ
 بِ"كَانَ".

(4) [فَبَيَّنَّ قَوْلُنَا "كَانَ"... يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفَرْقُ]، يُرِيدُ لَمَّا كَانَ الْإِفْتِرَانُ الْمَذْكُورُ إِذَا دُلَّ عَلَيْهِ
 بِ"كَانَ"، لَمْ يَجِبْ أَنْ يُدَلَّ عَلَيْهِ بِ"يَكُونُ"، وَالْعَكْسُ كَذَلِكَ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا مَدْلُوعٌ حَقِيقِيٌّ مُخَالَفٌ لِالْآخَرِ، وَأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِيهِ
 "كَانَ" لَا تُعْنِي فِيهِ "يَكُونُ"، وَلَا "كَانَ" تُعْنِي عَنْ "يَكُونُ". إِذَنْ فَهَنَّاكَ
 شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ عَيْرُ الْإِخْتِلَافِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ كَانَ وَيَكُونُ هُوَ الَّذِي إِنَّمَا إِلَيْهِ
 يَرْجِعُ هَذَا الْفَرْقُ.

(5) [وَلَا شَكَّ فِي أَهْمَا لَا يَنْفَرِقَانِ... وَهُوَ الْمَاضِي]، وَهَذَا الشَّيْءُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ وَجُودَ
 الدَّاتِ، وَلَا عَدَمَ الْعَالَمِ، لِأَهْمَا لَا يَجْتَلِفَانِ، لِأَنَّ تَارَةً نَقُولُ "كَانَ اللهُ وَلَا
 عَالَمٌ"، وَتَارَةً "يَكُونُ اللهُ وَلَا عَالَمٌ"، فَالدَّاتَانِ هُمَا هُمَا. وَلَكِنْ إِذَا قُلْنَا "فِي

الْمُسْتَقْبَلِ كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ، قَبْلَ حَطًّا. إِذَا فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْنَى ثَالِثٍ إِذَا مَا دُلَّ عَلَيْهِ بِ"كَانَ" "كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ"، كَانَتْ دَلَالَتُهَا صِدْقًا، وَهُوَ مَعْنَى مَا مَضَى، أَوْ الْمَاضِي.

(6) [والماضي بذاته... فإمّا تمضي بضمي الزمان]، إِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْأَجْزَاءَ الدَّائِيَّةَ الَّتِي يَتَقَوَّمُ مِنْهَا الزَّمَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ زَمَانٌ إِمَّا هِيَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ، وَحَدٌّ بَيْنَهُمَا مُشْتَرِكٌ هُوَ نَهَائِيَةُ الْمَاضِي وَمَبْدَأُ الْمُسْتَقْبَلِ يُسَمَّى "الآن". وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْ هَذِهِ هِيَ زَمَانٌ بِذَاتِهِ، لِأَنَّهُ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ وَصْفٍ زَمَانِيٍّ فَهَوَّ لَهُ لِذَاتِهِ، وَمَعْرُوفٌ بِنَفْسِهِ لَا بغيرِهِ، بَلْ إِنَّ غَيْرَهُ إِمَّا يُعْرَفُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى الزَّمَانِيَّ بِوَاسِطَتِهِ هُوَ. فَالْمَاضِي الَّذِي هُوَ جُزْءُ الزَّمَانِ هُوَ مَاضِي بِذَاتِهِ، وَلَيْسَ يُعْرَفُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى بِوَاسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ. أَمَّا الْحُرْكََةُ فَهِيَ لَا تُعْلَمُ إِلَّا عَلَى أَنَّهَا انْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ مُتَقَدِّمٍ إِلَى حَالٍ مُتَأَخِّرٍ، وَمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ فِي الْحُرْكََةِ الَّذِي بِهِ هُوَ قَوَامٌ الْحُرْكََةِ، إِمَّا يُعْلَمُ بِوَاسِطَةِ مَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ الزَّمَانِيَّ بِالذَّاتِ، أَعْنِي أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ فِي الْحُرْكََةِ هُوَ مَا وَافَقَ حَدُّوهُ الْمُتَقَدِّمَ الزَّمَانِيَّ الدَّائِيَّ.

(6) [فبالضرورة يلزم... إلى وجود العالم]، فَلَمَّا كَانَ قَوْلُكُمْ أَيُّهَا الْمُتَكَلِّمَةُ "كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ، ثُمَّ كَانَ وَمَعَهُ الْعَالَمُ" إِمَّا يَفْتَضِي مَعْنَى ثَالِثًا ضَرْوَةً، وَهُوَ الزَّمَانُ، إِذَنْ فَإِنَّ جَزْمَكُمْ بِأَنَّ الْعَالَمَ هُوَ مُتَرَاخِي الْوُجُودِ عَنِ الْبَارِي تَعَالَى إِمَّا يُوجِبُ لَا مَحَالَةَ أَنْ يَكُونَ زَمَانٌ مَوْجُودٌ قَدْ انْقَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى وُجُودِ الْعَالَمِ،

وَالزَّمَانُ مِنَ الْعَالَمِ، وَلَا يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِخُدُوثِهِ، أَعْنِي الزَّمَانَ، لِأَنَّا نَقُولُ فِيهِ حِينِيذٍ يَمِثِلُ مَا قَدْ قُلْنَا آنِفًا. فَيَلْزَمُ أَنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ.

IV- قَالَ الْغَزَالِيُّ "قُلْنَا الْمَفْهُومُ الْأَصْلِيُّ مِنَ اللَّفْظَيْنِ وُجُودٌ ذَاتٍ وَعَدَمٌ ذَاتٍ، وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ الَّذِي بِهِ اِفْتِرَاقُ اللَّفْظَيْنِ نِسْبَةً لِأَرْمَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَيْنَا¹، بِدَلِيلِ أَنَّا لَوْ قَدَرْنَا عَدَمَ الْعَالَمِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ثُمَّ قَدَرْنَا لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وُجُودًا ثَانِيًا لَكُنَّا عِنْدَ ذَلِكَ نَقُولُ: كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمٌ، وَيَصِحُّ قَوْلُنَا سَوَاءً أَرَدْنَا بِهِ الْعَدَمَ الْأَوَّلَ أَوِ الْعَدَمَ الثَّانِي الَّذِي هُوَ بَعْدَ الْوُجُودِ، وَآيَةٌ أَنَّ هَذِهِ نِسْبَةٌ أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ بِعَيْنِهِ يَجُوزُ أَنْ يَصِيرَ مَاضِيًا فَيَعْبَرُ عَنْهُ بِالْفِظِ الْمَاضِي²، وَهَذَا كُلُّهُ لَعَجْزِ الْوَهْمِ عَنْ فَهْمِ وُجُودٍ مُبْتَدَأٍ إِلَّا مَعَ تَقْدِيرِ "قَبْلَ" لَهُ، وَذَلِكَ "الْقَبْلُ" الَّذِي لَا يَنْفَكُ الْوَهْمُ عَنْهُ نَظْرًا أَنَّهُ شَيْءٌ مُحَقَّقٌ مَوْجُودٌ هُوَ الزَّمَانُ³، وَهُوَ كَعَجْزِ الْوَهْمِ عَنْ أَنْ يُقَدَّرَ تَنَاهِي الْأَجْسَامِ فِيمَا يَلِي الرُّؤْسِ إِلَّا عَلَى سَطْحٍ لَهُ فَوْقُ⁴، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّ وِرَاءَ الْعَالَمِ مَكَانًا إِمَّا مَلَأَهُ وَإِمَّا خَلَاهُ⁵، وَإِذَا قِيلَ لَيْسَ فَوْقَ سَطْحِ الْعَالَمِ فَوْقُ وَلَا بُعْدُ أَبْعَدُ مِنْهُ كَاعِ الْوَهْمِ عَنِ الْإِدْعَانِ لِقَبُولِهِ⁶، كَمَا إِذَا قِيلَ لَيْسَ قَبْلَ وُجُودِ الْعَالَمِ "قَبْلُ" هُوَ مَوْجُودٌ مُحَقَّقٌ، نَفَرَ الْوَهْمُ أَيْضًا عَنْ قَبُولِهِ⁷، وَكَمَا جَازَ أَنْ يُكَذَّبَ الْوَهْمُ فِي تَقْدِيرِهِ فَوْقَ الْعَالَمِ خَلَاءً

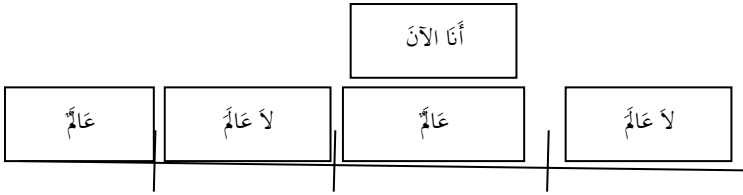
هُوَ بَعْدٌ لَا نَهَابَةَ لَهُ بِأَنَّ يُقَالَ لَهُ الْخَلَاءُ لَيْسَ مَفْهُومًا فِي نَفْسِهِ، أَمَّا الْبَعْدُ فَهُوَ تَابِعٌ لِلْجِسْمِ الَّذِي تَتْبَاعِدُ أَقْطَارُهُ، فَإِذَا كَانَ الْجِسْمُ مُتَنَاهِيًا كَانَ الْبَعْدُ الَّذِي هُوَ تَابِعٌ لَهُ مُتَنَاهِيًا، فَانْقَطَعَ أَنَّ الْخَلَاءَ وَالْمَلَاءَ غَيْرَ مَفْهُومٍ، فَتَبَتَ أَنَّهُ لَيْسَ وِرَاءَ الْعَالَمِ لَا خَلَاءٌ وَلَا مَلَاءٌ، وَإِنْ كَانَ الْوَهُمُ لَا يُدْعَى لِقَبُولِهِ⁸، وَكَذَلِكَ يُقَالَ كَمَا أَنَّ الْبَعْدَ الْمَكَائِيَّ تَابِعٌ لِلْجِسْمِ، فَأَلْبَعْدُ الزَّمَانِيَّ تَابِعٌ لِلْحَرَكَةِ، فَإِنَّهُ اِمْتِدَادُ الْحَرَكَةِ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ اِمْتِدَادُ لِأَقْطَارِ الْجِسْمِ، وَكَمَا أَنَّ قِيَامَ الدَّلِيلِ عَلَى تَنَاهِيِ أَقْطَارِ الْجِسْمِ مَنَعَ مِنْ إِثْبَاتِ بَعْدِ مَكَائِيٍّ وَرَاءَهُ، فَقِيَامُ الدَّلِيلِ عَلَى تَنَاهِيِ الْحَرَكَةِ مِنْ طَرَفَيْهِ يَمْنَعُ مِنْ تَقْدِيرِ بَعْدِ زَمَانِيٍّ وَرَاءَهُ، وَإِنْ كَانَ الْوَهُمُ مُتَشَبِّهًا بِحَيَالِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَلَا يَرَعَوِي عَنْهُ⁹، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْبَعْدِ الزَّمَانِيِّ الَّذِي تَنْقَسِمُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ عِنْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى "قَبْلُ" و "بَعْدُ"، وَبَيْنَ الْبَعْدِ الْمَكَائِيِّ الَّذِي تَنْقَسِمُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ عِنْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى "فَوْقُ" و "تَحْتَ". فَإِنْ جَارَ إِثْبَاتُ "فَوْقُ" لَا فَوْقَ فَوْقَهُ، جَارَ إِثْبَاتُ "قَبْلُ" لَيْسَ قَبْلَهُ "قَبْلُ" مُحَقَّقٌ إِلَّا حَيَالِيًّا وَهَيْبًا كَمَا فِي الْفَوْقِ، وَهَذَا لَازِمٌ فَلَيْتَأَمَّلْ، فَانْهَمِ ائْتَفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ وِرَاءَ الْعَالَمِ لَا خَلَاءٌ وَلَا مَلَاءٌ¹⁰.

شرح -IV-

(1) [فلنا المفهوم... نسبة لا زمة بالقياس إلينا]، وجواب العزالي على هذا الجواب هو أن قولنا "كان الباري تعالى ولا عالم"، "ثم كان الباري ومعه العالم"، إنما يقتضي ليكون مفهوما صادقا فقط وجود ذات و عدم ذات أخرى، ووجود ذاتين معا. أما ما به اختلف المعنى الثاني عن المعنى الأول، وهو الدال على تأخر الوجود الثاني عن الوجود الأول بالزمان، فليس له من وجود بدائه وثبوت خارج النفس، بل إنه من عمل النفس، ونسبة فقط لتلك الموجودات بالقياس إلينا. أعني أن معنى الماضي ومعنى المستقبل ليست بأوصاف واجبة في نفسها خارجة عنا، بل هي اعتبارات ذهنية، موجودة بالذهن فقط.

(2) [بدليل أنا لو قدرنا... فمعبر عنه بلفظ الماضي]، والدليل على أن المعاني الزمانية اعتبارية وليست بنبوتية أن الشيء الواحد الموجود لا يمكن أن تتعاوره أحكام متناقضة معا. فمثلا لا يمكن لسطح واحد أن يكون معا أسود ولا أسود، لأن السطح هو موجود، والأسود إنما يحل بالسطح يبقى ثابتا وإن

لَمْ يُفْرَضْ أَنَّ هُنَاكَ ذَهْنًا بَنَاتًا. أَمَّا طُولُ زَيْدٍ وَقَصْرُهُ، فَلَيْسَتْ بِأَوْصَافٍ ثَابِتَةٍ فِي الْخَارِجِ، بَلْ هِيَ إِعْتِبَارَاتٌ ذَهْنِيَّةٌ مِنْ قِيَاسِ زَيْدٍ إِلَى شَخْصٍ أَقْصَرَ مِنْهُ، فَيَنْشَأُ بِالذَّهْنِ حِينِيذٌ مَعْنَى الطُّولِ، ثُمَّ قِيَاسُهُ إِلَى شَخْصٍ أَطْوَلَ مِنْهُ فَيَنْشَأُ بِالذَّهْنِ حِينِيذٌ مَعْنَى الْقِصْرِ. لِأَجْلِ ذَلِكَ جَازَ أَنْ يُوصَفَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ بِأَوْصَافِ إِعْتِبَارِيَّةٍ مُتَنَاقِضَةٍ مَعًا، فَيُقَالُ مَثَلًا زَيْدٌ هُوَ طَوِيلٌ وَقَصِيرٌ مَعًا. وَبِالْعَكْسِ فَإِنَّ الْأَوْصَافَ الْمُتَنَاقِضَةَ إِنْ جَازَ اجْتِمَاعُهَا مَعًا، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا أَيْضًا إِعْتِبَارَاتٌ ذَهْنِيَّةٌ، وَلَيْسَ لَهَا مِنْ وُجُودٍ فِي الْخَارِجِ بِمَعْرَلٍ عَنِ أَذْهَانِنَا أَصْلًا. كَذَلِكَ الْأَحْكَامُ الزَّمَانِيَّةُ كَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، إِذْ لَوْ كَانَتْ ثَابِتَةً فِي نَفْسِهَا لَمَا جَازَ أَنْ يُوصَفَ الْحُكْمُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ تَارَةً بِحُكْمِهِ، وَتَارَةً بِحُكْمٍ مُقَابِلِهِ، فَمَا ذَلِكَ إِذَنْ إِلَّا لِمَكَانٍ أَنْ أَصْلَهَا الذَّهْنُ وَلَيْسَ الْخَارِجُ وَالْعَزَالِيُّ يُوضِّحُ هَذَا بِمِثَالٍ :



فَالْعَالَمُ الْآنَ مُوجُودٌ، فَلِي أَنَا أَنْ أُقَدِّرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَنَّهُ لَا عَالَمَ، فَهَذَا الْمُسْتَقْبَلُ بِعَيْنِهِ لَوْ أَنَا قَدَّرْتُ بَعْدَهُ وُجُودَ الْعَالَمِ، يَصِيرُ بِالْقِيَاسِ إِلَى تَقْدِيرِي الثَّانِي مَاضِيًا، وَيَكُونُ حِينِيذٌ جَائِزًا أَنْ نَقُولَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ "كَانَ اللَّهُ وَلَا

عَالَمٌ كَمَا كَانَ جَائِزًا فِيمَا قَدْ مَضَى. وَيُرِيدُ بِالْعَدَمِ الْأَوَّلِ عَدَمَ الْعَالَمِ
بِالْقِيَاسِ إِلَى الْآنَ، وَالْعَدَمِ الثَّانِي الْعَدَمَ الْمُقَدَّرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَمَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الزَّمَانِيَّةَ هِيَ نِسْبَةٌ، أَيُّ أَنَّ وُجُودَهَا فِي الدَّهْنِ فَقَطْ، هُوَ
أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ إِجْمَالًا، يَجُوزُ إِذَا قَدَرْنَا لَهُ مُسْتَقْبَلًا أَنْ يَصِيرَ مَاضِيًا وَأَنْ يُعْبَرَ
عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي.

(3) [وهذا كله ليعجز الوهم... موجود هو الزمان]، فَإِذَا صَحَّ أَنَّ الزَّمَانَ هُوَ نِسْبَةٌ ذَهْنِيَّةٌ
تَابِعَةٌ لِلْحَرَكَةِ وَالْتَعْبِيرِ، فَإِنَّ الْوَهْمَ قَدْ يَتَسَلَّطُ عَلَى الدَّهْنِ فَيَهْمُهُ عَلَى أَنْ
يُثَبَّتَ وَرَاءَ كُلِّ تَعْبِيرٍ فِي الْوُجُودِ تَعْبِيرًا فِي الْوُجُودِ، وَالزَّمَانَ تَابِعٌ لِلْحَرَكَةِ،
فَيَتَوَهَّمُ الْوَهْمُ أَيْضًا أَنَّ الزَّمَانَ مَوْجُودٌ لَا هَيَاةَ لَهُ. لِذَلِكَ فَإِنْ هُوَ قِيلَ لَهُ إِنَّ
هُنَاكَ مَوْجُودًا مُبْتَدَأً، اِمْتَنَعَ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ أَنْ لَا يَتَصَوَّرَ حَرَكَةً اِنتِقَالٍ مِنْ عَدَمٍ
سَابِقٍ إِلَى وُجُودٍ لَاحِقٍ. وَلَكِنَّ عَجْزَ الْوَهْمِ عَلَى تَصَوُّرِهِ أَنَّ لِلْحَرَكَةِ اِبْتِدَاءً
مُطْلَقًا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ دَلِيلًا عَلَى اِمْتِنَاعِ ذَلِكَ، مَا دَلَّ الْبُرْهَانَ الْعَقْلِيَّ
عَلَى اِمْتِنَاعِهِ.

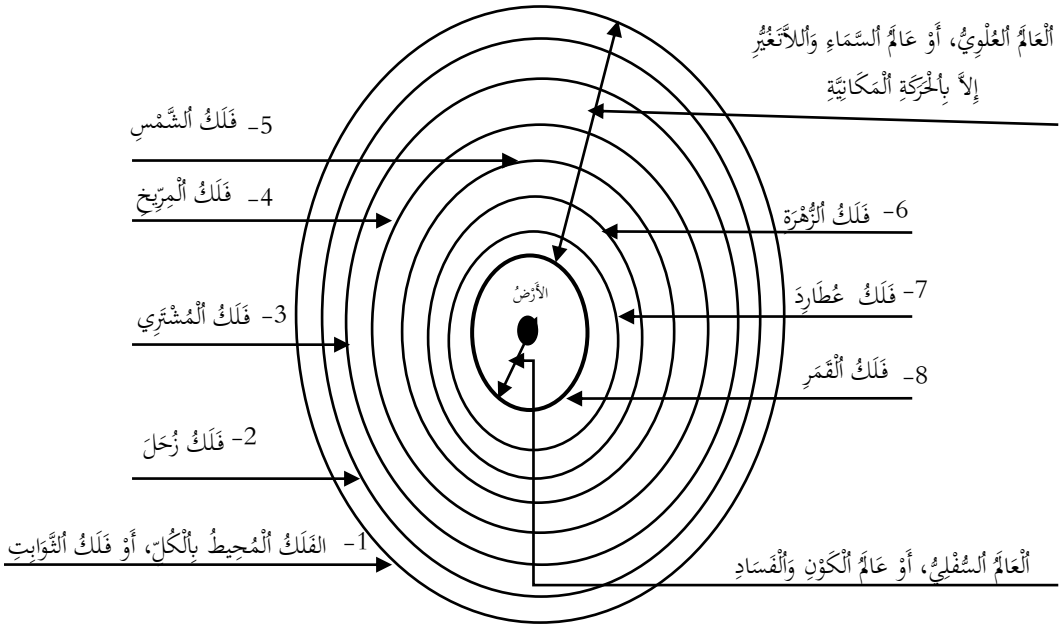
(4) [وهو كعجز الوهم... على سطح له فوق]، وَمَا يُقْوِي حُجَّتَنَا أَنَّ هَذَا الَّذِي قُلْنَا هُوَ
شَبِيهُ جِدًّا بِمَا قَدْ صَحَّ عِنْدَكُمْ مِنْ أَنَّهُ لَا وُجُودَ أَصْلًا لِجِسْمٍ لَا هَيَاةَ لَهُ.
لَكِنَّ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ لَاهِيَاةَ الَّذِي هُوَ مَطْلُوبُ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ هُوَ مَا بَيْنَهُ ابْنُ سِينَا
بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ "وَعَرَضْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَمَّا لَا هَيَاةَ لَهُ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ هَلْ يَكُونُ مِنَ الْأَجْسَامِ
أَجْسَامٌ هِيَ بِمَقْدَارِهَا أَوْ بِعَدَمِهَا جَيْثُ أَيُّ شَيْءٍ أَخَذَتْ مِنْهَا دَائِمًا وَجَدْتَ شَيْئًا خَارِجًا
عَنْهُ" "السِّقَاءُ"، صَفْحَةَ 210. وَهُوَ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَثْبَتَهُ قَدَمَاءُ

الطَّبِيعِيِّينَ مِمَّنْ جَاءُوا قَبْلَ أَرِسْطُو، مِثْلَ أَنْكَسَاغُورَاسِن، وَدِيمَقْرِيطَسِن. أَمَّا هُوَ فَقَدْ أَنْكَرَهُ، وَالْمَشَائِثِيُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَكَذَلِكَ ابْنُ سِينَا. إِذَنْ فَقَدْ أَوْرَدَ أَرِسْطُو فِي سَمَاعِهِ أَسْبَابًا خَمْسَةً أَوْجَبَتِ التَّصَدِيقَ بِهِ، مِنْهَا مَا قَالَهُ هَذَا "وَأَيْضًا مِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمُتَنَاهِي هُوَ أَبَدًا يَنْتَهِي إِلَى شَيْءٍ، فَيَجِبُ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا تَكُونَ نَهَايَةً أَصْلًا إِنْ كَانَ يَجِبُ أَبَدًا أَنْ يَتَنَاهَى الشَّيْءُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهِ. وَكَثُرَ مَا يُشَكِّكُ الْجَمِيعَ وَأَحْفَهَا بِالتَّشْكِيكِ مِنْ قَبْلِ التَّوَهُمِ، فَإِنَّ التَّوَهُمَ لِلشَّيْءِ لَمَّا كَانَ لَا يَنْقَطِعُ لَهُ طُلٌّ بِالْعَدَدِ أَنَّهُ لَا نَهَايَةَ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَقَادِيرُ التَّعَالِمِيَّةُ وَمَا خَارِجَ السَّمَاءِ. أَرِسْطُو، "السَّمَاعُ الطَّبِيعِيُّ"، الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ 203ب، 20-25.

إِذَنْ فَكَمَا أَنَّ الْوَهُمَ لَا يَتَخَيَّلُ نَهَايَةَ لِحِسْمٍ إِلَّا بِحِسْمٍ آخَرَ يَحُدُّهُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي أَوْجَبَتِ الْقَوْلَ بِحِسْمٍ لَا نَهَايَةَ لَهُ، لَكِنَّهُ لَمَّا ثَبَتَ عِنْدَكُمْ بِإِدْلَالٍ مُنْفَصِلَةٍ إِمْتِنَاعِ وَجُودِهِ، كَدَبْتُمْ الْوَهُمَ وَأَعْتَصَمْتُمْ بِالصِّدْقِ الَّذِي أَثْبَتَهُ الدَّلِيلُ الْعُقْلِيُّ، كَذَلِكَ الْأَمْرُ هَاهُنَا فَإِنَّا نَجْعَلُ لِلْحَرَكَةِ إِبْتِدَاءً وَوُجُودًا أَوَّلًا كَمَا جَعَلْتُمْ أَنْتُمْ أَوَّلًا وَنَهَايَةَ لِلْعَالَمِ، أَمَّا عَجَزَ الْوَهُمَ مِنَّا عَلَى تَصَوُّرِ وَجُودِ أَوَّلٍ إِلَّا مَعَ تَصَوُّرِ قَبْلِ لَهُ، فَإِنَّمَا نَحْمِلُهُ عَلَى الْوَهُمِ الْكَاذِبِ، كَمَا فَعَلْتُمْ أَنْتُمْ فِي أَمْرِ الْجِسْمِ الْأَلَامْتَنَاهِيِّ. وَإِذْ أَنَّ الزَّمَانَ عَلَى قَوْلِكُمْ هُوَ عَدَدُ الْحَرَكَةِ، وَقَدْ بَانَتْ أَنَّهَا مُتَنَاهِيَّةٌ فِي الْمُبْدَأِ، فَالزَّمَانُ إِذَنْ هُوَ مُتَنَاهٍ وَلَهُ أَوَّلٌ لَا مَحَالَةَ.

(5) [فَيَتَوَهُمُ أَنَّ وَرَاءَ الْعَالَمِ... مَلَأَةٌ وَإِنَّمَا خَلَاةٌ]، إَعْلَمَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعَالَمِ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ هُوَ مَا يُحِيطُ بِهِ السَّطْحُ الْأَخِيرُ، وَهُوَ سَطْحُ الْفَلَكِ الْأَقْصَى الْمُسْتَمِيلِ عَلَى

عَالَمَيْنِ : عَالَمٍ عُلُوِّيٍّ وَهُوَ الْأَفْلَاكُ وَمَا فِيهَا مِنْ كَوَاكِبٍ، وَعَالَمٍ سُفْلِيٍّ، أَوْ
عَالَمٍ مَا تَحْتَ مُقَعَّرِ فَلَكِ الْقَمَرِ، وَهُوَ عَالَمُ الْعُنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ، وَالْكُونِ
وَالْفَسَادِ. وَقَدْ يُطْلَقُونَ أَيْضًا عَلَيْهِ اسْمُ الْكُلِّ.



- صُوْرَةُ الْكُلِّ فِي إِعْتِقَادِ الْقُدَامَى عَلَى عَهْدِ أَرِسْطُو -

أَمَّا فِي عُرْفِ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَالْعَالَمُ هُوَ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
الْمَوْجُودَاتِ وَالْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ.

فَإِنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ وَقَفَ بِذَهْنِهِ عِنْدَ نَهَايَةِ الْعَالَمِ وَطَرَفِ الْكُلِّ، وَهُوَ السَّمَاءُ
 الْمُحِيطَةُ، فَإِنَّ وَهْمَهُ ضَرُورَةٌ سَيَطُلُبُ شَيْئًا آخَرَ وَرَاءَ ذَلِكَ الْحَدِّ، فَمَا أَنْ
 يَتَوَهَّمَهُ بِأَنَّهُ فِضَاءٌ بِلَا جِسْمٍ أَصْلًا، وَهُوَ الْخَلَاءُ، وَإِنَّمَا بِأَنَّهُ جِسْمٌ، وَعَالَمٌ
 آخَرٌ. وَيُؤَخِّدُ عَادَةً عَلَى هَذَا مِثَالِ طَرِيفٍ، وَهُوَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَدْ بَلَغَ طَرَفَ
 الْعَالَمِ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جِهَةِ الْفَوْقِ، فَحَالُهُ فِي الْوَهْمِ إِذَنْ لَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَمْرَيْنِ
 وَجُوبًا، فَمَا أَنْ تَنْبَسِطَ يَدُهُ وَلَا يَعُوقُهَا شَيْءٌ، فَيَكُونُ هُنَاكَ إِذَنْ خَلَاءٌ
 قَطْعًا. وَإِنَّمَا أَنْ لَا تَنْبَسِطَ لِمَانِعٍ يَمْنَعُهَا، فَيَكُونُ هُنَاكَ إِذَنْ جِسْمٌ فِي مَكَانٍ،
 وَهُوَ الْمَلَاءُ.

(6) [وَأِذَا قِيلَ لَيْسَ فَوْقَ... عَنِ الْإِدْعَانِ لِقَبُولِهِ]، إِذَنْ فَلَوْ كَانَ الْإِفْتِنَاعُ بِأَمْرِ الْعَالَمِ مَوْفُوقًا
 فَقَطَّ عَلَى الْوَهْمِ لِأَوْجَبِ بِذَاتِهِ دَائِمًا بَعْدًا بَعْدًا، وَفَوْقًا بَعْدَ فَوْقٍ، هُوَ
 إِمَّا مَلَاءٌ أَوْ خَلَاءٌ. بَلْ إِنَّمَا وَإِنْ جِئْنَا بِالْبَيِّنِ الثَّابِتِ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ
 وَالْحُجَّةِ وَبَيِّنًا اِمْتِنَاعَ مَا يَطْهَرُ لَهُ دَائِمًا، سَدَّ أذُنَيْهِ، وَبَقِيَ يَصُورُ لَنَا الْعَالَمُ
 دَائِمًا كَمَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَوَّرَهُ إِلَّا عَلَيْهِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّا نَسْمِيهِ الْوَهْمَ، وَلَا
 نَرُكُّهُ إِلَّا إِلَى مَا ظَهَرَ بِالْبُرْهَانِ.

(7) [كَمَا إِذَا قِيلَ لَيْسَ... نَفَرَ الْوَهْمُ أَيْضًا عَنْ قَبُولِهِ]، كَذَلِكَ فِي مَسْأَلَتِنَا فَلِمَ لَا نَقُولُ بِأَنَّ
 مَا سُمِّيَتْهُ حُجَّةً فِي أَنَّ الْعَالَمَ لَوْ كَانَ حَادِثًا لَاقْتَضَى أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قَبْلَ
 زَمَانِيٍّ، فَالزَّمانُ مَوْجُودٌ قَبْلَ كُلِّ حَادِثٍ لَا مُحَالَةَ، إِذَنْ فَهُوَ قَدِيمٌ، إِنَّمَا هُوَ
 اِحْتِجَاجٌ بِالْوَهْمِ، وَصُورَتُهُ هِيَ بَعَيْنُهَا صُورَةُ الْإِيجَابِ الْوَهْمِيِّ فِي الْبَعْدِ

اللامتناهي، لذلك فليس نفور الوهم هاهنا من نفينا لوجود "قبل" قبل وجود العالم، وجوداً محققاً، أي وجوداً ثابتاً في الخارج غير كونه اعتباراً ذهنيّاً فقط، هو حجة لكم في أنّ الزمان قديم، كما لم يكن عندكم نفوره من نفى كل فوق فوق العالم هو حجة في أنّ وراء العالم دائماً شيئاً.

(8) [وَمَا جازَ أَنْ يُكذَّبَ الوُهمُ فِي تَقْدِيرِهِ... وَإِنْ كَانَ الوُهمُ لَا يُدْعَى لِقَبُولِهِ]، وَقَدْ كَانَ طَرِيقُكُمْ الْبُرْهَانِي فِي مَا مَضَى فِي تَكْذِيبِ الوُهمِ إِذْ هُوَ لَيْسَ يَنْفَكُ عَنِ إِثْبَاتِ أَنَّ وَرَاءَ الْعَالَمِ هُنَاكَ خِلَافٌ لَا نَهَايَةَ لَهُ ضَرُورَةً، بِأَنَّ الْخِلَافَ قَدْ يُفْهَمُ بِمَعْنَيْنِ : إِمَّا الْأَشْيَاءَ، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ، لِأَنَّ الْخِلَافَ لِأَشْيَاءَ، وَقَوْلُنَا "إِنَّ وَرَاءَ الْعَالَمِ لَا شَيْءَ"، وَالْخِلَافُ هُوَ لَا شَيْءَ. وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ بَعْدَ مَكَانِي لَيْسَ فِيهِ جِسْمٌ أَصْلًا، وَهَذَا مَا تَأْبُوهُ حَقًّا وَتَدْفَعُونَهُ بِالْدَلِيلِ. وَالْدَلِيلُ، أَنَّ الْبُعْدَ الْمَكَانِيَّ هُوَ أَبْعَادٌ ثَلَاثَةٌ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمُقِ، وَهَذِهِ الْأَبْعَادُ إِنْ كَانَتْ بِالْفِعْلِ، لَمْ تَقُمْ بِذَاتِهَا الْبَتَّةَ، بَلْ هِيَ ضَرُورَةٌ تَابِعَةٌ لِلْجِسْمِ الَّذِي إِمَّا صُورَتُهُ الْجَوْهَرِيَّةُ إِمَّا هِيَ جَوَازُ فَرَضِ هَذِهِ الْأَبْعَادِ الثَّلَاثَةِ، عَلَى مَا بَيَّنَّهُ ابْنُ سِينَا فِي سَمَاعِهِ، وَ فِي الْإِهْيَاتِيَّةِ، مِنْ كِتَابِ الشِّفَاءِ. فَإِنْ فُرِضَتْ مَوْجُودَةٌ بِالْفِعْلِ صَارَتْ كَمَا مُتَّصِلًا لَهُ إِمْتِدَادٌ فِي الْأَقْطَارِ، إِمَّا إِلَى نَهَايَةٍ مَحْدُودَةٍ، فَيَحْصُلُ الْمَقْدَارُ الْمُتَّنَاهِي، وَإِمَّا إِلَى لَا نَهَايَةَ إِنْ جَارَ ذَلِكَ، فَيَحْصُلُ الْمَقْدَارُ الْأَلَامُتِنَاهِي. وَلَكِنْ هُوَ قَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ اِمْتِنَاعُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ جِسْمٌ غَيْرٌ مُتَّنَاهٍ، فَأَمْتَنَعَ إِذَنْ وَجُودُ بَعْدِ غَيْرِ مُتَّنَاهٍ، فَأَمْتَنَعَ إِذَنْ

وُجُودٍ بَعْدِ غَيْرِ مُتَنَاهِ خَالِيًا مِنْ كُلِّ جِسْمٍ. فَمِنْ الْمُحَالِ إِذَنْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَلَاءٌ لَا مُتَنَاهِ وَرَاءَ الْعَالَمِ. وَلَا أَيْضًا مَلَاءٌ.

(9) [وَكَذَلِكَ يُقَالُ كَمَا أَنَّ الْبُعْدَ الْمَكَانِيَّ تَابِعٌ لِلْجِسْمِ... وَلَا يَرْعَوِي عَنْهُ، كَذَلِكَ حُجَّتُنَا فِي إِبْطَالِ زَمَانٍ وَرَاءَ إِبْتِدَاءِ الْعَالَمِ كَمَا كَانَتْ حُجَّتُكُمْ فِي إِبْطَالِ مَكَانٍ وَرَاءَ جِسْمِ الْعَالَمِ. إِذْ هِيَ قَدْ كَانَتْ عِنْدَكُمْ بِأَنَّ الْبُعْدَ الْمَكَانِيَّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَا مُتَنَاهِيًا لِأَنَّهُ تَابِعٌ لِلْجِسْمِ وَالْجِسْمُ مُتَنَاهِ. وَأَيْضًا عِنْدَكُمْ فَإِنَّ الزَّمَانَ هُوَ تَابِعٌ لِلْحَرَكَةِ لِأَنَّهُ إِمْتِدَادُهَا. إِذَنْ فَإِنْ قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى تَنَاهِيهَا مِنْ طَرَفَيْهَا، أَعْنِي أَنَّ هَذَا إِبْتِدَاءً وَإِقْفَاءً، فَقَدْ وَجِبَ إِذَنْ إِمْتِنَاعُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ زَمَانٌ وَرَاءَ الْعَالَمِ. وَكَمَا لَمْ يُؤْبَهُ لِلْحَاحِ الْوَهْمُ بِأَنَّ وَرَاءَ الْعَالَمِ بُعْدًا آخَرَ، كَذَلِكَ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْبَهُ لَهُ لِلْحَاحِ بِأَنَّ وَرَاءَ إِبْتِدَاءِ الْعَالَمِ زَمَانًا آخَرَ.

(10) [وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْبُعْدِ... لَا خَلَاءٌ وَلَا مَلَاءٌ]، الزَّمَانُ تَنْقَسِمُ أَجْزَائُهُ إِلَى قَبْلِ وَبَعْدِ، وَهِيَ مُتَضَافِيَانِ، أَعْنِي "قَبْلٌ" هُوَ "قَبْلٌ" بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَعْدِ، وَ"بَعْدٌ" هُوَ "بَعْدٌ" بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَبْلِ. وَهُوَ قَبْلٌ لِأَنَّهُ قَبْلُ بَعْدِ، أَيَّ حِينٍ مَا هُوَ مَوْجُودٌ لَمْ يَكُنْ "بَعْدٌ"، وَبَعْدٌ هُوَ بَعْدُ قَبْلِ، لِأَنَّهُ حِينٌ صَارَ مَوْجُودًا ائْتَفَى وَجُودُ "قَبْلٍ". وَهَذَا خِلَافُ التَّرْتِيبِ الْمَكَانِيِّ الَّذِي وَإِنْ كَانَ أَيْضًا أَجْزَائُهُ مُتَضَافِيَةً، فَإِنَّهَا كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ مَعًا. إِذَنْ فَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، أَيَّ مِنْ جِهَةِ التَّضَافِيَةِ الْمَوْجُودِ بَيْنَ أَجْزَاءِ التَّرْتِيبِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ. وَإِذْ

لَا فَرْقَ، فَإِنْ جَارَ إِبْتِاثُ "فَوْقُ" لَا فَوْقَ فَوْقَهُ، جَارَ إِبْتِاثُ "قَبْلُ" لَيْسَ قَبْلَهُ "قَبْلُ" مُحَقَّقٌ، أَيْ مُوجُودًا فِي الْخَارِجِ، إِلَّا خَيَالِيًّا وَهَيْبًا كَمَا فِي الْفَوْقِ.

V- قَالَ الْعَرَابِيُّ "فَإِنْ قِيلَ هَذِهِ الْمُوَازَنَةُ مُعْوِجَةً¹ لِأَنَّ الْعَالَمَ لَيْسَ لَهُ "فَوْقُ" وَلَا "تَحْتُ"، لِأَنَّهُ كُرِّيٌّ، وَلَيْسَ لِلْكُرَةِ فَوْقُ وَلَا تَحْتُ²، بَلْ إِنْ سُمِّيَتْ جِهَةً "فَوْقًا" فَمِنْ حَيْثُ إِتْمَا تَلِي رَأْسَكَ، وَالْأُخْرَى "تَحْتًا" فَمِنْ حَيْثُ إِتْمَا تَلِي رَجْلَكَ، فَهُوَ اسْمٌ تَجَدَّدَ لَهُ بِالِإِضَافَةِ إِلَيْكَ، وَأُجْهَةٌ الَّتِي هِيَ "تَحْتُ" بِالِإِضَافَةِ إِلَيْكَ هِيَ "فَوْقُ" بِالِإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِكَ إِذَا قَدَّرْتَهُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنْ كُرَةِ الْأَرْضِ وَاقِفًا يُحَاذِي أَحْمَصَ قَدَمِهِ أَحْمَصَ قَدَمِكَ، بَلِ الْجِهَةُ الَّتِي تُقَدِّرُهَا فَوْقَكَ مِنْ أَجْزَاءِ السَّمَاءِ هَمَّا هِيَ بَعْضُهَا تَحْتَ الْأَرْضِ لَيْلًا، وَمَا هُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ يَعُودُ إِلَى فَوْقِ الْأَرْضِ بِالِدُّورِ³. وَأَمَّا الْأَوَّلُ لَوْجُودِ الْعَالَمِ فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُنْقَلَبَ آخِرًا وَهُوَ كَمَا لَوْ قَدَّرْنَا حَشْبَةً أَحَدَ طَرَفَيْهَا غَلِيظًا وَالْآخَرَ دَقِيقًا، وَأَصْطَلَحْنَا عَلَى أَنْ نُسَمِّيَ الْجِهَةَ الَّتِي تَلِي الدَّقِيقَ فَوْقًا إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي، وَالْجَانِبَ الْآخَرَ تَحْتًا، لَمْ يَظْهَرْ بِهَذَا إِخْتِلَافٌ ذَاتِيٌّ فِي أَجْزَاءِ الْعَالَمِ، بَلْ هِيَ أَسَامِيٌّ مُخْتَلِفَةٌ قِيَامُهَا بِهَيْئَةِ هَذِهِ الْحَشْبَةِ حَتَّى لَوْ عَكِسَ وَضْعُهَا لَانْعَكَسَ الْإِسْمُ، وَالْعَالَمُ لَمْ يَتَبَدَّلْ، فَالْفَوْقُ وَالتَّحْتُ نِسْبَةٌ مَحْضَةٌ إِلَيْكَ لَا تَخْتَلِفُ أَجْزَاءُ الْعَالَمِ وَسَطُوخُهُ فِيهِ⁴، وَأَمَّا الْعَدَمُ الْمُنْتَقِدُّ عَلَى الْعَالَمِ، وَالنِّهَايَةُ الْأُولَى لَوْجُودِهِ فَذَاتِيٌّ لَهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتَبَدَّلَ فَيَصِيرُ آخِرًا، وَلَا الْعَدَمُ الْمُنْقَدَّرُ عِنْدَ فَنَاءِ الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ عَدَمٌ لَأَحِقُّ بِتَصَوُّرِ أَنْ يَصِيرَ سَابِقًا، فَطَرَفًا نِهَائِيَّةً وَجُودِ الْعَالَمِ اللَّذَانِ أَحَدُهُمَا أَوَّلٌ وَالثَّانِي آخِرٌ طَرَفَانِ ذَاتِيَّانِ ثَابِتَانِ

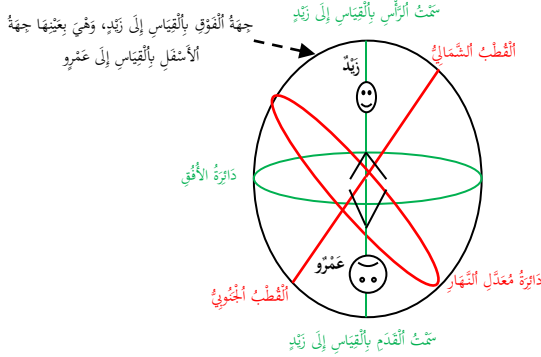
لَا يُتَصَوَّرُ التَّبَدُّلُ فِيهِمَا بِتَبَدُّلِ الْإِضَافَاتِ إِلَى الْبَتَّةِ بِخِلَافِ "الْفَوْقُ"
وَ"التَّحْتُ"⁵. فَإِذْ أَمْكَنَّا أَنْ نَقُولَ لَيْسَ لِلْعَالَمِ "فَوْقُ" وَلَا "تَحْتُ"، وَلَا
يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَقُولُوا لَيْسَ لِرُجُودِ الْعَالَمِ "قَبْلُ" وَلَا "بَعْدُ". وَإِذَا ثَبَتَ "الْقَبْلُ"
وَ"الْبَعْدُ"، فَلَا مَعْنَى لِلزَّمَانِ سِوَى مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ "بِالْقَبْلِ" وَ"الْبَعْدِ"⁶.

شرح -V-

(1) [فإن قيل هذه الموازنة مفرجة]، أجاب العزالي عن الفلاسفة بأن هذه المشابهة لجهتي الزمان بجهتي المكان التي أخرجتم منها أن الذهاب إلى ما لاهيية في القبليية الزمانيية هو بمنزلة الذهاب إلى ما لاهيية في الفوقية المكانيية، فإن نحن، أي الفلاسفة، قد فسرنا الذهاب الثاني بأنه من عمل الوهم فقط وليس له حقيقة في الواقع، فلنقبل كذلك بأن الزمان ذو أول، وأن الذهاب في قبليية هو فقط من عمل الوهم. فلت قد تجيب الفلاسفة بأن هذه المشابهة غير سليمة، لأنها من باب القياس مع ثبوت الفارق.

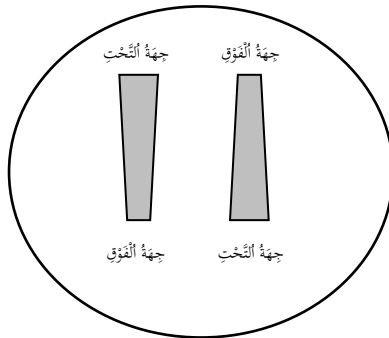
(2) [لأن العالم ليس... فوق ولا تحت]، والفارق بين الأمرين المانع للمشابهة أن العالم هو كروي لا يقبل الزيادة، يحيط به سطح واحد غير ذي أجزاء متباينة، ففي نفسه ليس له هيئة هي فوق وهيئة هي تحت. بل إنها معانٍ تُقال بالإضافة إلينا فقط، ككون فلان على يساري، فهو صفة حدثت لوجوده بالإضافة إلي على يساري، لذلك فلو أنا انتقلت حتى أكون على يساره، لتجددت له صفة أخرى وهي كونه على يميني، وقد بقي هو على حاله ما اختلف منه شيء في نفسه البتة. ولما كانت الجهات المكانيية إنما هي إضافات بالقياس إلينا، كان أصل وجودها هو الوهم فقط، فجاز إذن أن تمضي إلى غير نهاية مضيًا تابعًا لحركة الوهم المطلقة.

(3) [إنَّ إِنْ سُمِّيَتْ جِهَةٌ... إِلَى فَوْقِ الْأَرْضِ بِالذَّوْرِ]، إِهْمَا أَمْثَلَةٌ يَأْخُذُهَا الْعَرَابِيُّ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ لِيُبَيِّنَ بِهَا أَنَّ الْجِهَاتِ الْمَكَائِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ أَوْصَافٌ إِضَافِيَّةٌ بِالْقِيَاسِ إِلَيْنَا.



إِذَنْ فَرَيْدٌ وَاقِفٌ عَلَى الْجَانِبِ الْأَوَّلِ مِنْ دَائِرَةِ الْأُفْقِ، وَعَمْرُو وَاقِفٌ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ بِجَاذِي أَحْمَصُ قَدَمِهِ أَحْمَصُ قَدَمِ رَيْدٍ. فَأَلْجُزُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي يَلِي رَأْسَ رَيْدٍ يُسَمَّى "فَوْقَ" بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ هَيْئَةٌ قَائِمَةٌ فِي السَّمَاءِ، بَلْ هُوَ بِعَيْنِهِ قَدْ يُوصَفُ أَيْضًا بِأَنَّهُ "تَحْتُ" بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَدَمِي عَمْرُو. وَقَوْلُهُ "بَلِ الْجِهَةُ الَّتِي تُقَدِّرُهَا فَوْقَكَ مِنْ أَجْزَاءِ السَّمَاءِ تَحَارًا هِيَ بِعَيْنِهَا تَحْتُ الْأَرْضِ لَيْلًا" فَمَعْنَاهُ أَنَّ السَّمَاءَ تَتَحَرَّكُ دَوْرَةً كَامِلَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ حَوْلَ مَحْوَرِهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ. لِذَلِكَ فَمَا يَكُونُ مِنْهَا فَوْقَ رَيْدٍ تَحَارًا، فَإِنَّهُ بِعَيْنِهِ يَصِيرُ تَحْتُ فِي اللَّيْلِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ. فَلَزِمَ أَنَّ الْجِهَاتِ فِي الْمَكَانِ إِنَّمَا هِيَ مَوْجُودٌ وَهِيَ، وَلَيْسَ لَهَا ثُبُوتٌ فِي الْخَارِجِ.

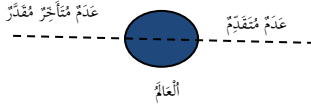
(4) [وَأَمَّا الْأَوَّلُ لِيُجُودَ الْعَالَمُ... أَجْزَاءُ الْعَالَمِ وَسَطُوْحُهُ فِيهِ]، يَأْخُذُ الْعَرَالِيُّ مِثَالًا آخَرَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ مُبَيِّنًا بِهِ أَنَّ الْجِهَاتِ الْمَكَانِيَّةَ إِضَافَاتٌ مَحْضَةٌ، لَا هَيْئَاتٌ ثَابِتَةٌ. إِذْ لَوْ فَرَضْنَا حَشَبَةً أَحَدُ طَرَفَيْهَا دَقِيقٌ وَالْآخَرُ غَلِيظٌ، فَقَدْ نَصَطَلِحُ بِأَنَّ الْجِهَةَ الَّتِي تَلِي الدَّقِيقَ هِيَ فَوْقُ، وَالَّتِي تَلِي الْغَلِيظَ تَحْتُ. فَهَذِهِ الْجِهَاتُ لَيْسَتْ بِأَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ هِيَ إِضَافَاتٌ إِلَى هَيْئَةِ الْحَشَبَةِ حَتَّى لَوْ أَكْهَأَ قَدْ عَكِسَتْ لِانْعَكَسَ اسْمُ الْجِهَةِ وَلَمْ يَتَبَدَّلْ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ. وَقَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ بِسَطُوْحِهِ، أَجْزَاءُ السُّطْحِ الْآخِرِ الْمُحِيطِ بِالْكُلِّ.



الْعَالَمُ الْمَحِيطُ لَمْ يَتَبَدَّلْ بِشَيْءٍ، لَكِنَّ أَسْمَاءَ الْجِهَاتِ تَبَدَّلَتْ تَبَدُّلًا تَابِعًا لِإِخْتِلَافِ وَضْعِ الْحَشَبَةِ

(5) [وَأَمَّا الْعَدَمُ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى الْعَالَمِ... بِخِلَافِ "الْفَوْقِ" وَ"التَّحْتُ"]، أَمَّا قَوْلُنَا أَوَّلَ زَمَانِيٍّ لِلْعَالَمِ، وَآخَرَ زَمَانِيٍّ، فَهُمَا ذَاتِيَّانِ لَيْسَا بِتَابِعَيْنِ لَوْهُنَا، إِذْ هُوَ أَوَّلٌ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ وُجُودِهِ عَدَمٌ، وَهُوَ آخِرٌ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ وُجُودِهِ عَدَمٌ. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَعَكِسَ، فَيَصِيرُ مَا يَلِي مَا انْتَهَى فِيهِ الْعَالَمُ هُوَ بَعِينِهِ مَا يَلِي مَا قَدْ ابْتَدَأَ مِنْهُ، وَمَا يَلِي مَا ابْتَدَأَ مِنْهُ هُوَ بَعِينِهِ مَا يَلِي مَا يَنْتَهِي فِيهِ، كَمَا فِي مِثَالِ

الْحَشْبَةَ حَيْثُ إِنَّ الْجِهَةَ الْوَاحِدَةَ الَّتِي تَلِي أَحَدَ طَرَفِي الْحَشْبَةِ هِيَ بَعِينَهَا الَّتِي تَلِي طَرَفَهَا الْآخَرَ بَعْدَ الْعُكْسِ.



فَلَمَّا صَحَّ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُجْعَلَ مَا يَلِي أَوَّلَ الْعَالَمِ هُوَ بَعِينَهُ مَا يَلِي آخِرَهُ، وَمَا يَلِي آخِرَهُ هُوَ بَعِينَهُ مَا يَلِي أَوَّلَهُ، لَزِمَ فِي صِفَتِي الْقَبْلِ وَالْبَعْدِ، بِأَهْمَا ذَاتَيَانِ لِلْعَالَمِ، تَتَبَدَّلُ هَيْئَتُهُ إِنْ بَدَّلْنَا، وَلَيْسَا بِتَابِعَيْنِ أَصْلًا لِلِإِضَافَةِ إِلَيْنَا، بِخِلَافِ الْفَوْقِ وَالْتَحْتِ.

(5) [فَإِذْنُ أَمْكَنَّا أَنْ نَقُولَ لَيْسَ... بِالْقَبْلِ وَ"الْبَعْدِ"]، وَالْخُلَاصَةُ أَنَّهُ قَدْ جَازَ لَنَا نَحْنُ الْفَلَّاسِفَةُ، أَنْ نَمْنَعُ لِلْعَالَمِ وُجُودَ "فَوْقٍ" وَ"تَحْتٍ"، وَنُفَسِّرَ نُزُوعَ أَذْهَانِنَا لِإِثْبَاتِهِ بِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ، لِأَنَّهُ كِلَيْهِمَا مَوْجِدَانِ بِالِإِضَافَةِ إِلَيْنَا. أَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ يَجُوزُ لَكُمْ ذَلِكَ فِي أَمْرِ "الْقَبْلِ" وَ"الْبَعْدِ" لِمَا قَدْ أَثْبَتْنَا مِنْ كَوْنِهِمَا مَعْنَيْنِ ذَاتَيْنِ لِلْعَالَمِ. إِذْنُ فَإِنْ سَاقَ كُلُّ "قَبْلِ" إِلَى "قَبْلِ" قَبْلَهُ، وَكُلُّ "بَعْدٍ" إِلَى "بَعْدٍ" بَعْدَهُ، إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ، فَذَلِكَ هُوَ شَيْءٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَيْسَ فَقَطْ إِمَّا هُوَ تَمَادٍ مِنَ الْوَهْمِ. وَلَا مَعْنَى لِلزَّمَانِ سِوَى مَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِ"الْقَبْلِ" وَ"الْبَعْدِ". فَصَحَّ إِذْنُ أَنَّ الزَّمَانَ قَدِيمٌ.

VI- قَالَ الْغَزَالِيُّ "قُلْنَا لَا فَرْقَ¹، فَإِنَّهُ لَا عَرَضَ فِي تَعْيِينِ لَفْظِ "الْفَوْقِ" وَ"الْتَّحْتِ"، بَلْ نَعْدِلُ إِلَى لَفْظِ "الِدَّاحِلِ" وَ"الْخَارِجِ"، وَنَقُولُ لِلْعَالَمِ دَاخِلٌ وَخَارِجٌ²، فَهَلْ خَارِجَ الْعَالَمِ شَيْءٌ مِنْ مَلَأٍ أَوْ خَلَاءٍ، فَسَيَقُولُونَ لَيْسَ وَرَاءَ الْعَالَمِ لَا خَلَاءٌ وَلَا مَلَأٌ³. وَإِنْ عَنَيْتُمْ بِالْخَارِجِ سَطْحَهُ الْأَعْلَى فَلَهُ خَارِجٌ، وَإِنْ عَنَيْتُمْ غَيْرَهُ فَلَا خَارِجَ لَهُ⁴، فَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ لَنَا هَلْ لَوْجُودِ الْعَالَمِ "قَبْلُ"، قُلْنَا إِنَّ عُنِي بِهِ هَلْ لَوْجُودِ الْعَالَمِ بِدَايَةِ، أَيِ طَرَفًا مِنْهُ إِبْتِدَاءً، فَلَهُ

"قَبْلُ" عَلَى هَذَا، كَمَا لِلْعَالَمِ خَارِجٌ عَلَى تَأْوِيلِ أَنَّهُ الطَّرْفُ الْمَكْشُوفُ
وَالْمُنْقَطَعُ السَّطْحِيّ. وَإِنْ عَنَيْتُمْ "بِقَبْلُ" شَيْئًا آخَرَ، فَلَا قَبْلَ لِلْعَالَمِ، كَمَا أَنَّهُ
إِذَا عُنِيَ بِخَارِجِ الْعَالَمِ شَيْءٌ سِوَى السَّطْحِ، قِيلَ لَا خَارِجَ لِلْعَالَمِ⁵. فَإِنْ قُلْتُمْ لَا
يُعْقَلُ مَبْدَأُ وُجُودٍ لَا "قَبْلُ" لَهُ، فَيَقَالُ وَلَا يُعْقَلُ مُتْنَاهِي وُجُودٍ مِنَ الْجِسْمِ
لَا خَارِجَ لَهُ. فَإِنْ قُلْتُمْ "خَارِجُهُ" سَطْحُهُ الَّذِي هُوَ مُنْقَطَعُهُ لَا غَيْرَ، قُلْنَا
قَبْلَهُ بِدَايَةِ وُجُودِهِ الَّذِي هُوَ طَرَفُهُ لَا غَيْرَ⁶.

شَرْحُ -VI-

(1) [لَا فَوْقَ]، فِي النُّسَخَةِ الْمَطْبُوعَةِ "لَا فَوْقَ". وَهِيَ نُسخَةُ دَارِ الْمَعَارِفِ.

(2) [قُلْنَا لَا فَوْقَ... دَاخِلٌ وَخَارِجٌ]، أَحَابَ الْعَزَالِيُّ بِأَنَّ هَذَا الْجَوَابَ لِلْفَلَّاسِقَةِ لَا يَضُرُّ
فِي الْعَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْ تَشْبِيهِ النَّهَائِيَةِ فِي الزَّمَانِ بِالنَّهَائِيَةِ فِي الْمَقْدَارِ، لِأَنَّهُ
عَرَضٌ غَيْرٌ مَوْقُوفٍ فَقَطُ عَلَى مَعْنَيْي "فَوْقَ" وَ"تَحْتُ"، بَلْ لِنَأْخُذَ لَفْظَيْنِ
آخَرَيْنِ، لَفْظَ "الِدَّاخِلِ"، وَ"الْخَارِجِ"، وَنَقُولُ لِلْعَالَمِ دَاخِلٌ وَخَارِجٌ.

(3) [فَهَلْ خَارِجُ الْعَالَمِ... لَا خَلَاءَ وَلَا مَلَأَةً]، ثُمَّ إِنْ سَأَلْنَاكُمْ سُؤلاً مُبْتَدَأً هَلْ خَارِجُ الْعَالَمِ شَيْءٌ مِنْ مَلَأَةٍ، أَيْ جِسْماً فِي مَكَانٍ، أَوْ مِنْ خَلَاءٍ، أَيْ مَكَاناً بِلَا جِسْمٍ أَصْلاً، فَسْتَقُولُونَ لَيْسَ وَرَاءَ الْعَالَمِ لَا خَلَاءٌ وَلَا مَلَأَةٌ.

(4) [وَإِنْ عَنَيْتُمْ بِالْخَارِجِ... فَلَا خَارِجَ لَهُ]، هَذَا مِنْ كَلَامِ الْفَلَّاسِفَةِ مُحَاطِبِينَ لِلْسَّائِلِ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِالْخَارِجِ سَطْحَ الْفَلَكَ الْأَقْصَى الْمُحِيطَ بِالْكُلِّ، أَفَرَزْنَا بِأَنَّ لِلْعَالَمِ خَارِجاً، وَإِنْ عَنَيْتَ غَيْرَ السَّطْحِ، مِنْ مَلَأَةٍ أَوْ خَلَاءٍ، فَلَا خَارِجَ لِلْعَالَمِ.

(5) [فَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ... قِيلَ لَا خَارِجَ لِلْعَالَمِ]، كَذَلِكَ نَحْنُ، أَعْنِي الْعَرَابِيَّ وَمُثَبِّتِي الْحُدُوثِ، فَإِنَّا نُنزِلُ "قَبْلُ" مِنْ الزَّمَانِ مَنزِلَةَ "الْخَارِجِ" مِنَ الْعَالَمِ عِنْدَكُمْ، فَإِنْ قِيلَ هَلْ لِيُوجِدَ الْعَالَمِ "قَبْلُ" كَمَا قِيلَ هَلْ لِلْعَالَمِ خَارِجٌ، قُلْنَا إِنْ قُصِدَ بِهِ هَلْ لِلْعَالَمِ طَرَفٌ مِنْهُ إِبْتَدَأً، قُلْنَا نَعَمْ، كَمَا لِلْعَالَمِ خَارِجٌ عَلَى تَفْسِيرِ أَنَّهُ السَّطْحُ الَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَهُ الْعَالَمُ. وَمَعْنَى الْمُنْقَطِعِ السَّطْحِيِّ، السَّطْحُ الَّذِي يَنْقَطِعُ بِهِ الْعَالَمُ، وَيَنْتَهِي عِنْدَهُ. وَإِنْ قُصِدَ بِهِ شَيْءٌ آخَرَ، فَلَا "قَبْلُ" لِلْعَالَمِ عِنْدَنَا، كَمَا لَا خَارِجَ عِنْدَكُمْ مَتَى قُصِدَ بِهِ سِوَى الْمُنْقَطِعِ السَّطْحِيِّ.

(6) [فَإِنْ قُلْتُمْ لَا يُعْتَلَى مُبْتَدَأً... هُوَ طَرَفُهُ لَا غَيْرُ]، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ تَنْتَصِرُونَ بِهِ لِذِفْعِ مَطْلُوبِنَا، فَهُوَ يَبَالُ مِنْ مَطْلُوبِكُمْ فِي تَنَاهِي الْعَالَمِ، وَكُلُّ تَأْوِيلٍ تَتَّخِذُونَهُ لِإثْبَاتِ مَطْلُوبِكُمْ، فَهُوَ يَصِحُّ كَذَلِكَ فِي إِثْبَاتِ مَطْلُوبِنَا.

VII - قَالَ الْغَزَالِيُّ "بَقِيَ أَنْ نَقُولَ لِلَّهِ وُجُودٌ وَلَا عَالَمٌ مَعَهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَيْضًا لَا يُوجِبُ إِثْبَاتَ شَيْءٍ آخَرَ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا عَمَلُ الْوَهْمِ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ¹، فَإِنَّ الْخِصْمَ وَإِنْ اِعْتَقَدَ قَدَمَ الْجِسْمِ يُدْعِي وَهْمَهُ لِتَقْدِيرِ حُدُوثِهِ، وَنَحْنُ وَإِنْ اِعْتَقَدْنَا حُدُوثَهُ رَبَّمَا أَدْعَى وَهْمَنَا لِتَقْدِيرِ قَدَمِهِ، هَذَا فِي الْجِسْمِ². فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الزَّمَانِ لَمْ يَقْدِرِ الْخِصْمُ عَلَى تَقْدِيرِ حُدُوثِ زَمَانٍ لَّا "قَبْلَ" لَهُ، وَخِلَافُ الْمُعْتَقَدِ يُمَكِّنُ وَضْعَهُ فِي الْوَهْمِ تَقْدِيرًا وَفَرْضًا، وَهَذَا بِمَا لَا يُمَكِّنُ وَضْعَهُ فِي الْوَهْمِ، كَمَا فِي الْمَكَانِ، فَإِنَّ مَنْ يَعْتَقِدُ تَنَاهِي الْجِسْمِ وَمَنْ لَا يَعْتَقِدُ، كُلُّ وَاحِدٍ يَعْجِزُ عَنِ تَقْدِيرِ جِسْمٍ لَيْسَ وَرَاءَهُ لَّا خَلَاءٌ وَلَا مَلَاءٌ، بَلْ لَا يُدْعِي الْوَهْمُ لِقَبُولِ ذَلِكَ³، وَلَكِنْ قِيلَ: صَرِيحُ الْعَقْلِ إِذَا لَمْ يَمْنَعْ وُجُودَ جِسْمٍ مُتَنَاهٍ بِحُكْمِ الدَّلِيلِ، لَمْ يُتَلَفَتْ إِلَى الْوَهْمِ، فَكَذَلِكَ صَرِيحُ الْعَقْلِ لَا يَمْنَعُ وُجُودَ مُفْتَتِحٍ لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَإِنْ قَصَرَ

الْوَهْمُ عَنْهُ فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْوَهْمَ لَمَّا لَمْ يَأْلَفْ جِسْمًا مُتَنَاهِيًا إِلَّا
 وَبِجَنبِهِ جِسْمٌ آخَرٌ، أَوْ هَوَاءٌ تَحْيَلُهُ خَلَاءً، لَمْ يَتِمَّكُنْ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالِبِ،
 فَكَذَلِكَ لَمْ يَأْلَفِ الْوَهْمُ حَادِثًا إِلَّا بَعْدَ شَيْءٍ آخَرَ، فَكَاعَ عَنْ تَقْدِيرِ حَادِثٍ
 لَيْسَ لَهُ "قَبْلٌ"، هُوَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ قَدْ انْقَضَى، فَهَذَا هُوَ سَبَبُ الْعَاطِ⁴،
 وَالْمُقَاوَمَةُ حَاصِلَةٌ بِهَذِهِ الْمُعَارَضَةِ⁵."

شَرْحُ -VII-

(1) [بِقِي أَنْ تَقُولَ... بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ]، يُرِيدُ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحُدُوثَ هُوَ مُنْفَكٌّ
 عَنِ اثْبَاتِ الزَّمَانِ، وَأَنَّ قَوْلَنَا "كَانَ اللَّهُ وَلَا عَالَمَ"، "لَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَمَعَهُ الْعَالَمُ"
 لَا يَفْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ ثَالِثٌ وَهُوَ الْقَبْلُ الْحَقِيقِيُّ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ،
 هُوَ أَنْ مَا لَا يَكُونُ مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ بِالْوَهْمِ وَإِنْ كَانَ
 مُخَالِفًا لِلْمُعْتَقَدِ، أَمَا مَا هُوَ مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ خَالِصًا، فَلَا يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ
 خِلَافِهِ. وَلَمَّا كَانَ تَحْيَلُ قَبْلِ بِلَا قَبْلِ، أَوْ مَكَانِ بِلَا مَكَانِ وَرَاءَهُ مُتَعَدِّرًا فِي
 الْوَهْمِ، صَحَّ أَنْ عَمَلُهُ إِتْمَا هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِمَا.

(2) [إِنَّ الْخُصْمَ... هَذَا فِي الْجِسْمِ]، أَمَا إِذَا قِيلَ "الْجِسْمُ قَدِيمٌ" عَلَى اعْتِقَادِ
 الْفَيْلَسُوفِ، فَإِنَّ وَهْمَهُ قَدْ لَا يَنْفَرُ مِنْ تَصَوُّرِهِ حَادِثًا خِلَافًا لِاعْتِقَادِهِ، وَإِذَا

قِيلَ "الْجِسْمُ حَادِثٌ" فَإِنَّ وَهْمَنَا قَدْ لَا يَنْفُرُ مِنْ تَصَوُّرِهِ قَدِيمًا خِلَافًا لِإِعْتِقَادِنَا.

(3) [إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الزَّمَانِ... لِقَوْلِ ذَلِكَ]، إِذَنْ فَفِي الزَّمَانِ إِعْتِقَادُ الْخُصْمِ أَنَّهُ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَهُوَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَخَيَّلَ خِلَافَهُ، بَأَنَّ يُقَدِّرَ حَدُوثَ زَمَانٍ لَا قَبْلَ لَهُ، كَمَا فِي الْمَمْكَانِ فَإِنَّ مَنْ يَعْتَقِدُ بِلَا تَنْهَاهِ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَوَهَّمَ لَهُ نَهَائَةً لَيْسَ وَرَاءَهَا شَيْءٌ آخَرٌ.

(4) [وَلَكِنْ قِيلَ... هُوَ سَبَبُ الْعَلْطِ]، فَكَمَا قَدْ دُفِعَ عِنْدَكُمْ غَلْطُ الْوَهْمِ فِي الْمَمْكَانِ بِمَا قَدْ صَحَّ فِي صَرِيحِ الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ اِمْتِنَاعُ وُجُودِ جِسْمٍ غَيْرِ مُتَنَاهٍ، وَإِنْ كَانَ الْوَهْمُ لَيْسَ يَنْفَعُ عَنْ إِثْبَاتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْلَفْ جِسْمًا مُتَنَاهِيًا إِلَّا وَبِجَنِبِهِ جِسْمٌ آخَرٌ، كَذَلِكَ فَأَقْبَلُوا أَنَّ صَرِيحَ الْعَقْلِ قَدْ يَدْفَعُ غَلْطَ الْوَهْمِ فِي الزَّمَانِ بِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ فَقَبْلَهُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ، لِمَا قَدْ أَلْفَ أَنْ كُلَّ مُفْتَتِحٍ فَقَبْلَهُ شَيْءٌ، وَجَوَزُوا لِلزَّمَانِ أَوْلًا بِلَا قَبْلٍ.

(5) [وَالْمُقَاوِمَةُ حَاصِلَةٌ بِجِهَةِ الْمُعَارَضَةِ]، إِذْ مَعْنَى الْمُعَارَضَةِ فِي عِلْمِ الْمُنَاطَرَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُنَاطِرُ بِدَلِيلٍ يَلْزَمُ مِنْهُ نَقِيضُ مَا يَلْزَمُ مِنْ دَلِيلِ الْخُصْمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِدَلِيلِ الْخُصْمِ. فَهِيَ نَقْضٌ لِلْحُكْمِ بِلَا نَقْضٍ لِذَلِكَ.

أُصْبِعَةُ الثَّانِيَةُ¹ لِلدَّلِيلِ الثَّانِي

I- قَالَ الْعَرَالِيُّ "لَا شَكَّ فِي أَنَّ اللَّهَ عِنْدَكُمْ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ قَبْلَ خَلْقِهِ بِقَدْرِ سَنَةٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَأَلْفِ سَنَةٍ وَمَا لِأَنْهَايَةِ لَهُ²، وَأَنَّ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ مُتَّفَاوِتَةٌ فِي الْمِقْدَارِ وَالْكَمِّيَّةِ³، فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ شَيْءٍ قَبْلَ وُجُودِ الْعَالَمِ مُتَدِّ مُقَدَّرٍ بَعْضُهُ أَمَدٌ وَأَطْوَلُ مِنْ الْبَعْضِ⁴ .

فَإِنْ قُلْتُمْ لَا يُمَكِّنُ إِطْلَاقُ لَفْظِ "الْسِّنِينَ" إِلَّا بَعْدَ حُدُوثِ الْفَلَكِ وَدَوْرَانِهِ⁵، فَلْيَنْتَرْكُوا لَفْظَ "الْسِّنِينَ" وَلْيَنْوَرِدُوا صِبْغَةً أُخْرَى فَنَقُولُ إِذَا قَدَرْنَا أَنَّ الْعَالَمَ مِنْ أَوَّلِ وُجُودِهِ قَدْ دَارَ فَلِكُهُ إِلَى الْآنَ أَلْفَ دَوْرَةٍ مِثْلًا⁶، فَهَلْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَ قَبْلَهُ عَالَمًا ثَانِيًا مِثْلَهُ بِحَيْثُ يَنْتَهِي إِلَى زَمَانِنَا هَذَا بِالْأَلْفِ وَمِائَةِ دَوْرَةٍ⁷. فَإِنْ قُلْتُمْ لَا، فَكَأَنَّهُ انْقَلَبَ الْقَدِيمُ مِنَ الْعَجْزِ إِلَى الْقُدْرَةِ، أَوْ الْعَالَمُ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ إِلَى الْإِمْكَانِ⁸. وَإِنْ قُلْتُمْ نَعَمْ وَلَا بُدَّ مِنْهُ،

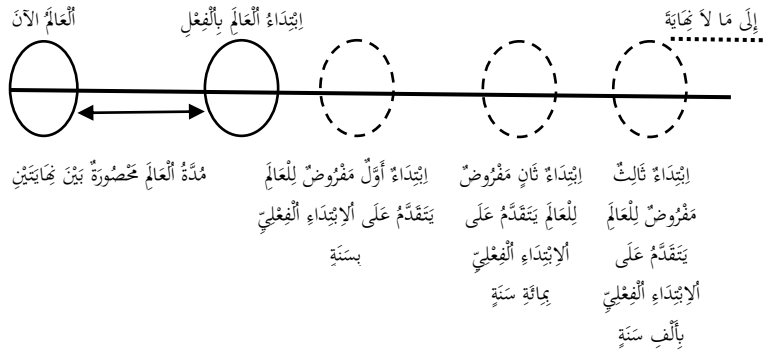
فَهَلْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ عَالَمًا تَالِيًا بَحِيثٌ يَنْتَهِي إِلَى زَمَانِنَا بِالْفِ
وَمَائَتِي دَوْرَةٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ نَعْمٍ⁹. فَتَقُولُ هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي سَمَّيْنَاهُ بِحَسَبِ تَرْبِينِنَا
فِي التَّقْدِيرِ تَالِيًا، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْأَسْبَقُ، فَهَلْ أَمَكَّنَ خَلْقَهُ مَعَ الْعَالَمِ الَّذِي
سَمَّيْنَاهُ ثَانِيًا وَكَانَ يَنْتَهِي إِلَيْنَا بِالْفِ¹⁰ وَمَائَتِي دَوْرَةٍ، وَالْآخِرُ بِالْفِ وَمِائَةٌ
دَوْرَةٍ، وَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ فِي مَسَافَةِ الْحُرْكََةِ وَسُرْعَتَيْهَا¹¹. فَإِنْ قُلْتُمْ نَعَمْ، فَهَوُ
مُحَالٌ، إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَتَسَاوَى حَرَكَتَانِ فِي السَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ، ثُمَّ تَنْتَهِيَانِ إِلَى
وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَالْأَعْدَادُ مُتَفَاوِتَةٌ¹². وَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّ الْعَالَمَ الثَّلَاثَ الَّذِي يَنْتَهِي
إِلَيْنَا بِالْفِ وَمَائَتِي دَوْرَةٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْلَقَ مَعَ الْعَالَمِ الثَّانِي الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْنَا
بِالْفِ وَمِائَةِ دَوْرَةٍ¹³، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَخْلُقَهُ قَبْلَهُ بِمِقْدَارٍ يُسَاوِي الْمِقْدَارَ الَّذِي
تَقَدَّمَ بِهِ الْعَالَمُ الثَّانِي عَلَى الْعَالَمِ الْأَوَّلِ وَسَمَّيْنَاهُ الْأَوَّلَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى وَهْمِنَا إِذَا
ارْتَفَعْنَا مِنْ وَفْتِنَا إِلَيْهِ فِي التَّقْدِيرِ¹⁴، فَيَكُونُ قُدْرَ إِمْكَانٍ هُوَ ضِعْفُ إِمْكَانِ
آخَرَ، وَلَا بُدَّ مِنْ إِمْكَانٍ آخَرَ هُوَ ضِعْفُ الْكُلِّ¹⁵. فَهَذَا الْإِمْكَانُ الْمُقَدَّرُ
بِالْكَمِّيَّةِ الَّذِي بَعْضُهُ أَطْوَلُ مِنْ بَعْضٍ بِمِقْدَارٍ مَعْلُومٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ إِلَّا
الرِّزْمَانُ¹⁶، فَلَبِستَ هَذِهِ الْكَمِّيَّاتُ الْمُقَدَّرَةُ صِفَةً ذَاتِ الْبَارِي تَعَالَى عَنِ
التَّقْدِيرِ، وَلَا صِفَةً عَدَمِ الْعَالَمِ إِذِ الْعَدَمُ لَيْسَ شَيْئًا حَتَّى يُقَدَّرَ بِمِقَادِيرَ
مُخْتَلِفَةٍ¹⁷، وَالْكَمِّيَّةُ صِفَةٌ فَتَسْتَدْعِي ذَا كَمِّيَّةٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الْحُرْكََةُ،
وَالْكَمِّيَّةُ إِلَّا الرِّزْمَانُ الَّذِي هُوَ قَدْرُ الْحُرْكََةِ¹⁸. فَإِذَا قَبَلَ الْعَالَمُ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ
دُو كَمِّيَّةٍ مُتَفَاوِتَةٍ وَهُوَ الرِّزْمَانُ، فَقَبَلَ الْعَالَمُ عِنْدَكُمْ زَمَانًا¹⁹.

شرح -I-

(1) [الصبيغة الثانية]، هذه الصبيغة الثانية من الدليل الثاني على قدم العالم إنما تقوم على إلزام أصحاب الحدوث بالقول بقدمه، لأنه لايزم من نفس ما يتقصدونه هم من أصول. وأول هذه الأصول وأثبتها عندهم أن الله ذو قدرة غير مفيدة، وأنه يقوى على أن يفعل كل شيء سوى ما كان ممتنعاً في ذاته. فمثلاً هو لا يجعل الشيء موجوداً وغير موجود معاً، لأن ذلك محال في نفسه، فلا يعد هذا قيداً لقدرة، ولا يوصف لأجله بالعاجز أصلاً.

(2) [لا شك في أن الله ... وما لاحياة له]، هذا خطاب الفلاسفة لخصومهم بأن من أصلكم أن الله قادر بقدره لا يقيدتها إلا الممتنع، أعني أن كل ما هو غير ممتنع في نفسه، فإن الله قادر عليه، وكل ما الله قادر عليه ولم يفعله فإن فرض أنه قد فعله لم يلزم منه محال. كذلك فأنتم تعتقدون بأن الباري قد خلق العالم في وقت، وهو من ذلك الوقت إلى الآن محصور بين هاتين،

فَهُوَ مُتَّنَاهٍ فِي الْمُدَّةِ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ الْعَقْلَ لَوْ تَصَوَّرَ مُدَّةَ الْعَالَمِ أَطْوَلَ
 بِمَا كَانَتْ بِالْفِعْلِ، أَوْ أَقْصَرَ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالْمُمْتَنِعِ فِي نَفْسِهِ. إِذَنْ فَاللَّهُ
 كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ قَبْلَ خَلْقِهِ بِالْفِعْلِ بِمُدَّةٍ مَا، ثُمَّ بِمُدَّةٍ أُخْرَى
 أَطْوَلَ مِنَ الْأُولَى الْمَفْرُوضَةِ، ثُمَّ بِمُدَّةٍ أُخْرَى أَطْوَلَ مِنَ الثَّانِيَةِ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ
 فِي الطُّوْلِ. وَقَدْ تَكُونُ الْمُدَّةُ الْأُولَى الْمَفْرُوضَةُ سَنَةً، وَالثَّانِيَةُ مِائَةَ سَنَةٍ،
 وَالثَّلَاثَةُ أَلْفَ سَنَةٍ، إِلَى غَيْرِ نِهَآيَةٍ مِنْ مَقَادِيرِ السَّنَوَاتِ.



لِذَلِكَ فَالْمُدَّةُ الَّتِي بَيْنَ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الْأَوَّلِ وَالْآنَ أَطْوَلَ مِنَ الْمُدَّةِ الَّتِي
 بَيْنَ إِبْتِدَاءِ الْعَالَمِ بِالْفِعْلِ وَالْآنَ، وَتَزِيدُ عَلَيْهَا بِسَنَةٍ. وَالْمُدَّةُ الَّتِي بَيْنَ الْعَالَمِ
 الْمَفْرُوضِ الثَّانِي وَالْآنَ تَزِيدُ عَلَيْهَا بِمِائَةِ سَنَةٍ، وَتَزِيدُ عَلَى مُدَّةِ الْعَالَمِ
 الْمَفْرُوضِ الْأَوَّلِ بِتِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً. وَالْمُدَّةُ الَّتِي بَيْنَ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ
 الثَّلَاثِ وَالْآنَ تَزِيدُ عَلَيْهَا بِأَلْفِ سَنَةٍ، وَتَزِيدُ عَلَى مُدَّةِ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الْأَوَّلِ

بِتِسْعِ مِائَةٍ وَتِسْعِ وَتِسْعِينَ، وَتَزِيدُ عَلَى مُدَّةِ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الثَّانِي بِتِسْعِ مِائَةٍ. إِلَى غَيْرِهِ.

(3) [وَأَنَّ هَذِهِ التَّفْذِيرَاتُ مُتَّفَاوِتَةٌ فِي الْمِقْدَارِ وَالْكَمِّيَّةِ]، وَظَاهِرٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا هِيَ مَقَادِيرٌ وَكَمِّيَّاتٌ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى نِسْبِ يُفْهَمُ مِنْهَا الْمُطَابَقَةُ وَالْمُسَاوَةُ وَالتَّفَاوُثُ، أَيِ الْمُقَابِلَةِ بِالْأَعْظَمِ، وَالْأَصْغَرِ.

(4) [فَلَا بُدَّ مِنْ إِبْتِهَا... وَأَطُولُ مِنَ الْبَعْضِ]، وَكَمَا تَعْلَمُ فَإِنَّ الْكَمَّ عَرْضٌ، وَالْعَرْضُ لَا يَقُومُ بِدَاتِهِ بَلْ بِمَوْضُوعٍ، وَلَا يُوجَدُ إِلَّا بِوُجُودِ مَوْضُوعٍ. لِذَلِكَ فَإِنَّ الْكَمَّ يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ وَوُجُودِ شَيْءٍ ذِي كَمٍّ يَكُونُ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ، أَيِ عَلَى الْكَمِّ، بِالطَّبَعِ، وَهُوَ النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقَدُّمِ. فَإِذَا كُنَّا قَبْلَ الْعَالَمِ بِالْفِعْلِ قَدْ أَثْبَتْنَا مَقَادِيرَ مُخْتَلِفَةَ النَّسَبِ، كَأَلْفِ سَنَةٍ أَطُولُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَنَسَبَتُهَا إِلَيْهَا عَشْرَةٌ أَمْثَالٍ، فَهَلُمَّ جَزًّا. فَوَاجِبٌ إِذَنْ أَنْ نُثَبِّتَ أَيْضًا شَيْئًا تَعْرِضُ لَهُ هَذِهِ الْمَقَادِيرُ، بِوَسَاطَتِهَا إِنَّمَا يُقَالُ إِنَّ بَعْضَهُ أَطُولُ مِنْ بَعْضٍ، أَوْ أَقْصَرُ، أَوْ مُسَاوٍ. وَهَذَا الشَّيْءُ إِنَّمَا هُوَ امْتِدَادُ مَا، وَهُوَ الزَّمَانُ.

(5) [إِنَّا قُلْنَا... وَذَوْرَانِهِ]، وَقَدْ يَتِمَسَّكُ مُعْتَرِضٌ مَا بَأَنَّهُ وَإِنْ كُنَّا نُنْفِرُ بِأَنَّ خَلْقَ الْعَالَمِ كَانَ جَائِزًا أَنْ يَكُونَ قَبْلَ خَلْقِهِ بِمُدَّةٍ، فَإِنَّا لَا نُجَوِّزُ أَنْ تَكُونَ الْمُدَّةُ تُوصَفُ بِالسَّنَةِ وَالسَّنَوَاتِ. لِأَنَّ السَّنَةَ إِنَّمَا هِيَ دَوْرَةٌ فَلِكِ هَذَا الْعَالَمِ، بِتِلَاثِيَّةٍ وَخَمْسِ وَسِتِّينَ يَوْمًا وَرُبْعَ يَوْمٍ. فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نُطَلِّقَهَا عَلَى مَا قَبْلَ الْعَالَمِ.

6 [فَلْيَنْتَرْكُ نَفْظَ "السَّبِينِ... أَلْفَ دَوْرَةٍ مَثَلًا]، فَأَجَابَ الْفَلَاسِيفَةُ فَلْيَنْتَرْكُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ لَفْظَةَ السَّنَةِ، وَلْيَصْنَعْ الْكَلَامَ صَوْعًا آخَرَ. إِذِ الْعَالَمُ عَلَى رَعْمِكُمْ لَهُ بَدَايَةٌ، وَطَرَفٌ يَنْتَهِي عِنْدَهُ الْآنَ. وَأَوَّلُ مَا خُلِقَ إِلَى الْآنَ فَقَدْ دَارَ فَلَكُهُ دَوْرَاتٍ مُتَّصِلَةٍ، وَهِيَ مُتَنَاهِيَةُ الْعَدَدِ لِامْحَالَةِ، لِأَنَّ وُجُودَهُ مُتَنَاهِي الْطَّرْفَيْنِ. وَلْيَنْفَرِضْ أَنَّ عِدَّتَهَا هِيَ أَلْفُ دَوْرَةٍ.

7 [فَهَلْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرًا... بِالْأَلْفِ وَمِائَةِ دَوْرَةٍ]، فَالسُّؤَالُ عَلَيْكُمْ، إِنَّ الْعَالَمَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُمَكِّنًا فِي نَفْسِهِ أَنْ يُخْلَقَ قَبْلَ خَلْقِهِ، عَالَمٌ آخَرُ مِثْلُهُ، وَإِمَّا أَنْ لَا يُمْكِنُ. فَإِنَّ أَمَكْنَ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى خَلْقِهِ أَوْ غَيْرِ قَادِرٍ. فَإِنَّ قَادِرًا، فَلْيَنْفَرِضْ أَنَّهُ لَوْ خَلَقَهُ كَانَ قَدْ دَارَ فَلَكُهُ، مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ إِلَى الْيَوْمِ أَلْفًا وَمِائَةَ دَوْرَةٍ.

8 [فَإِنَّ فُلْتُمْ لَا... الْإِسْتِحَالَةَ إِلَى الْإِمْكَانِ]، وَمَا كَانَ يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا بِلَا، لِأَنَّ إِمْتِنَاعَ هَذَا الْخُلْقِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ جَوَازٍ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنًا، فَيَلْزَمُ أَنَّ الْبَارِيَّ سُبْحَانَهُ كَانَ عَاجِزًا، وَمَا صَارَ قَادِرًا إِلَّا حِينَ خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ الْمَوْجُودَ، وَهَذَا مُحَالٌ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ إِمْتِنَاعِهِ فِي نَفْسِهِ، فَيَلْزَمُ أَنَّ الْمُمْتَنِعَ فِي ذَاتِهِ قَدْ انْقَلَبَ مُمَكِّنًا حَتَّى خُلِقَ حِينَ خُلِقَ، وَهَذَا أَيْضًا مُحَالٌ. وَفِي النُّسْخَةِ الْمَطْبُوعَةِ تَرْتِيبُ الْجُمْلَةِ هَكَذَا "أَوَّالِعَالَمِ مِنَ الْإِمْكَانِ إِلَى الْإِسْتِحَالَةِ." وَهُوَ خَطَأٌ.

(9) [وَإِنْ قُلْتُمْ نَعَمْ... وَلَا بُدَّ مِنْ نَعَمْ]، فَأَنْتُمْ إِذَنْ مُلْزَمُونَ بِأَنْ تَقُولُوا "نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَ قَبْلَهُ عَالَمًا تَابِعًا مِثْلَهُ بِحَيْثُ يَنْتَهِي إِلَى زَمَانِنَا هَذَا بِالْفِ وَمِائَةِ دَوْرَةٍ". وَلِنَفْسٍ هَذَا السَّبَبِ فَأَنْتُمْ مُلْزَمُونَ أَيْضًا بِأَنْ تُسَلِّمُوا بِقُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ عَالَمًا تَالِيًا بِحَيْثُ يَنْتَهِي إِلَى زَمَانِنَا بِالْفِ وَمِائَةِ دَوْرَةٍ.

(10) [بِالْفِ]، فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ "بِالْفِي".

(11) [نَقُولُ هَذَا الْعَالَمَ... مَسَافَةَ الْحَرَكَةِ وَسُرْعَتِهَا]، ثُمَّ إِنَّا نَأْتِي عَلَيْكُمْ بِهَذَا السُّؤَالِ الثَّانِي. لَقَدْ وَاقَفْتُمُونَا بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عَالَمٍ هُوَ ثَالِثٌ فِي الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ، وَلَكِنَّهُ سَابِقٌ بِحَسَبِ عَدَدِ الدَّوْرَاتِ. وَإِذْ أَنَّ عَدَدَ دَوْرَاتِهِ إِلَى الْآنِ هِيَ أَلْفٌ وَمِائَتَا دَوْرَةٍ، وَعَدَدَ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ ثَانِيًا إِلَى الْآنِ هِيَ أَلْفٌ وَمِائَةُ دَوْرَةٍ، وَكُلُّ دَوْرَةٍ فِي أَحَدِ الْعَالَمَيْنِ هِيَ مُسَاوِيَةٌ لِأُخْتِهَا فِي الْعَالَمِ الْآخَرَ، مِنْ حَيْثُ الْمَسَافَةِ وَمِنْ حَيْثُ السُّرْعَةِ، لِأَنَّ الْعَالَمَ الْمَفْرُوضَ دَائِمًا هُوَ مَفْرُوضٌ مُمَاتِلًا لِلْعَالَمِ الْمَوْجُودِ. إِذَنْ فَالْفَلَكُ الْأَقْصَى فِي كُلِّ عَالَمٍ مَفْرُوضٍ هُوَ مِثْلُ الْفَلَكِ الْأَقْصَى فِي الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الْآخَرَ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِبْتِدَاءُ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ ثَانِيًا مَعَ إِبْتِدَاءِ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الثَّانِي. عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْإِمْتِدَادَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ نَتَصَوَّرَهُ لِدَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي مِنْ أَوَّلِ إِبْتِدَائِهَا حَتَّى الْآنَ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَسَعَّ كُلَّ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ مِنْ أَوَّلِ إِبْتِدَائِهَا إِلَى الْآنِ. وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ

إِنَّهُ سَوَّالٌ فِي أَمْرِ بَيِّنٍ بِدَاتِهِ إِذْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَدَدُ دَوْرَاتِ الثَّلَاثِ أَكْثَرَ مِنْ الثَّلَاثِي، وَالْعَدَدُ الْأَكْثَرُ هُوَ مِثْلُ الْأَقَلِّ وَزِيَادَةٌ، وَالنِّهَائِيَّةُ هُنَا مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي يَلِينَا وَاحِدَةٌ، فَلَا مَحَالَةَ فَإِنَّ إِبْتِدَاءَ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ هِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى إِبْتِدَاءِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِي. لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ دَوْرَةُ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ الْوَاحِدَةَ أَسْرَعَ مِنْ دَوْرَةِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِي الْوَاحِدَةَ، لَجَازَ حِينَيْدٍ أَنْ يَكُونَ إِبْتِدَاءُ هَذَا الْعَالَمِ مُوَافِقًا لِإِبْتِدَاءِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِي، بَلْ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ إِبْتِدَاؤُهُ مُتَأَخِّرًا عَنِ إِبْتِدَائِهِ. لِذَلِكَ كَانَ الْإِمْتِدَادُ الْمَذْكُورُ لِدَوْرَاتِ الْفَلَكَ هُوَ غَيْرُ الْعَدَدِ الَّذِي هُنَا، وَهُوَ إِيمًا بِالْفَيَّاسِ إِلَيْهِ إِيمًا يُقَالُ إِنَّ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ قَدْ يَسْعُهَا هَذَا الْإِمْتِدَادُ مِنْ طَرَفَيْهِ أَوْ لَا يَسْعُهَا.

(12) [فَإِنْ فُلْتُمْ نَعَمْ... وَالْأَعْدَادُ مُتَّفَاوِتَةٌ]، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُولُوا نَعَمْ إِنَّ إِبْتِدَاءَ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ يَجُوزُ أَنْ يُوَافِقَ إِبْتِدَاءَ الْعَالَمِ الثَّلَاثِي، إِذْ أَنَّ عَدَدَ دَوْرَاتِهِ هِيَ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِي. وَمَنْ يُقَيِّدُ ذَلِكَ بِسَائِرِ الشُّرُوطِ الْمُبَيَّنَةِ آفَاءً، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا حِينَ قَالَ "وَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ فِي مَسَافَةِ الْحُرْكََةِ وَسُرْعَتَيْهَا".

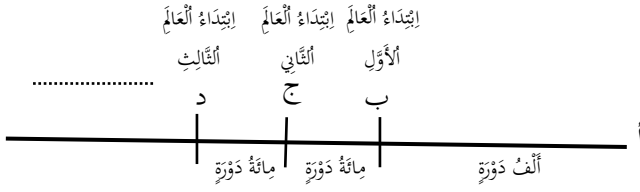
(13) [وَإِنْ فُلْتُمْ إِنَّ الْعَالَمَ... إِلَيْنَا بِالْفِ وَمِائَةِ دَوْرَةٍ]، وَلَنْ تَقُولُوا هَذَا بِحَسَبِ إِحْتِيَاجِكُمْ، بَلْ بِحَسَبِ الضَّرُورَةِ الْمُلْزِمَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ مُنْذُ حِينٍ.

(14) [بَلْ لَا بَدَّ أَنْ يُخْلَعَهُ قَبْلَهُ... وَفِينَا إِلَيْهِ فِي التَّفْذِيرِ]، لَقَدْ فُلْنَا إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَهُ إِبْتِدَاءٌ، لِذَلِكَ كَانَ عَدَدُ دَوْرَاتِ فَلَكَ مَحْدُودًا مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى الْآنِ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ

الدُّورَاتِ يُمكنُ أَنْ نَتَوَهَّمَ لَهَا إِمْتِدَادًا يَسْتَوْعِبُهَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. وَالْعَالَمُ الْمَفْرُوضُ ثَانِيًا عَدَدُ دَوْرَاتِهِ يَرِيدُ عَلَى عَدَدِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ بِمِائَةِ دَوْرَةٍ، لِذَلِكَ فَإِنَّ إِبْتِدَاءَهُ هُوَ قَبْلَ إِبْتِدَاءِ هَذَا الْعَالَمِ. وَكَذَلِكَ لِذَوْرَاتِهِ كُلِّهَا إِمْتِدَادٌ يَسْتَوْعِبُهَا كُلُّهَا. فَوَاجِبٌ إِذَنْ أَنَّ إِمْتِدَادَ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ ثَانِيًا سَيَكُونُ فَائِيًا عَلَى إِمْتِدَادِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، وَأَنَّ نِسْبَةَ فَضْلِهِ عَلَيْهِ إِلَى الإِمْتِدَادِ الْأَوَّلِ، هِيَ عَلَى نِسْبَةِ فَضْلِ عَدَدِ دَوْرَاتِهِ إِلَى دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ. لَكِنَّ الْعَالَمَ الْمَفْرُوضَ ثَالِثًا الَّذِي عَدَدُ دَوْرَاتِهِ إِلَى الْآنَ هُوَ أَلْفٌ وَمِائَتَا دَوْرَةٍ، فَإِنَّهُ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الثَّانِي بِمِائَةِ دَوْرَةٍ، وَهُوَ بَعِيْنِهِ عَدَدُ الدُّوْرَاتِ الَّتِي يَتَقَدَّمُ بِهَا الْعَالَمُ الثَّانِي هَذَا الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، أَعْنِي مِائَةَ دَوْرَةٍ. وَهَذَا الْعَالَمُ سَمِّيْنَاهُ أَوَّلًا لَا مِنْ جِهَةِ تَرْتِيْبِهِ فِي الْخُلُقِ، بَلْ مِنْ جِهَةِ تَرْتِيْبِهِ فِي الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ.

(15) [فَيَكُونُ قَدْرُ إِمْتِدَادِ... هُوَ ضِعْفُ الْكُلِّ] ، يُرِيدُ بِالْإِمْتِدَادِ الإِمْتِدَادَ الْمَتَّصَرَ لِذَوْرَاتِ الْفَلَكِ كُلِّهَا لِكُلِّ عَالَمٍ عَالَمٍ. وَلَفْظَةُ "الإِمْتِدَادِ" هِيَ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا ابْنُ سِينَا فِي إِلهِيَّاتِ الشِّفَاءِ حِينَ مُنَاقَضَتِهِ لِأَصْحَابِ الْخُدُوثِ، وَاسْتَعْمَلَهَا أَيْضًا لِإثْبَاتِ الزَّمَانِ وَبَيَانِ مَا حَقِيقَتُهُ، فِي سَمَاعِ الشِّفَاءِ، وَفِي طَبِيعِيَّاتِ "النَّجَاهِ". إِذَنْ فَلْيَكُنْ أ ب إِمْتِدَادَ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ الَّتِي عَدَدُهَا أَلْفٌ. وَلْيَكُنْ أ ج إِمْتِدَادَ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ ثَانِيًا الَّتِي عَدَدُهَا أَلْفٌ وَمِائَةُ دَوْرَةٍ. وَلْيَكُنْ أ د إِمْتِدَادَ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْمَفْرُوضِ الثَّالِثِ الَّتِي عَدَدُهَا أَلْفٌ وَمِائَتَا دَوْرَةٍ. وَقَدْ قُلْنَا إِنَّ نِسْبَةَ فَضْلِ إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي عَلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ ب ج، إِلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ،

كِنْسَبَةِ فَضْلِ عَدَدِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي عَلَى دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، إِلَى دَوْرَاتِ
الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، أَعْنِي كِنْسَبَةَ مِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ. كَذَلِكَ نِسْبَةُ ب د الَّذِي هُوَ
مَجْمُوعُ ب ج وَ ج د، إِلَى أ ب، كِنْسَبَةَ مِائَتَيْنِ إِلَى أَلْفٍ. فَيَلْزَمُ أَنَّ نِسْبَةَ
الْبَاقِي ج د بَعْدَ نُقْصَانِ ب ج مِنْ ب د، إِلَى أ ب، كِنْسَبَةُ الْبَاقِي مِائَةٍ
دَوْرَةٍ بَعْدَ نُقْصَانِ مِائَةٍ مِنْ مِائَتَيْ دَوْرَةٍ إِلَى أَلْفِ دَوْرَةٍ. وَهَذِهِ النِّسْبَةُ بِعَيْنِهَا
هِيَ مِثْلُ نِسْبَةِ إِمْتِدَادِ ب ج إِلَى إِمْتِدَادِ أ ب. إِذَنْ فِنِسْبَةُ إِمْتِدَادِ ج د إِلَى
إِمْتِدَادِ أ ب كِنْسَبَةُ إِمْتِدَادِ ب ج إِلَى إِمْتِدَادِ أ ب بِعَيْنِهِ. إِذَنْ فَاِمْتِدَادُ ج د
هُوَ مُسَاوٍ لِإِمْتِدَادِ ب ج، بِمَا بَانَ فِي الشَّكْلِ التَّاسِعِ مِنَ الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ
مِنْ "أَصُولِ أَفْلَيْدِس". إِذَنْ فَاِمْتِدَادُ ب د الَّذِي هُوَ مَجْمُوعُ إِمْتِدَادِي ب ج
و ج د، أَوْ كَمَا يَقُولُ الْعَزَلِيُّ، فَالْإِمْكَانُ الْمُتَعَلِّقُ بِمِائَتَيْ دَوْرَةٍ الَّتِي يُفْضَلُ
بِهَا الْعَالَمُ الْمَفْرُوضُ ثَالِثًا عَلَى الْعَالَمِ الْأَوَّلِ، هُوَ ضِعْفُ الْإِمْكَانِ الْمُتَعَلِّقِ
بِمِائَةِ دَوْرَةٍ الَّتِي بِهَا يُفْضَلُ الْعَالَمُ الثَّانِي الْمَفْرُوضُ عَلَى الْأَوَّلِ. وَقَوْلُهُ "وَلَا بُدَّ
مِنْ إِمْكَانٍ آخَرَ هُوَ ضِعْفُ الْكُلِّ" فَمَعْنَاهُ أَنَّ الذَّهَابَ فِي هَذِهِ الْإِمْكَانَاتِ
إِلَى غَيْرِ نَهَائِيَةٍ مِنْ جِهَةِ الصُّعُودِ هُوَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ وَثَابِتٌ. لِذَلِكَ فَكَمَا كَانَ
هُنَاكَ إِمْكَانٌ ب د هُوَ ضِعْفُ إِمْكَانِ ب ج، وَ ب د هُوَ كُلُّ مُجْتَمِعٍ
مِنْ ب ج وَ ج د، كَذَلِكَ فَهُنَاكَ إِمْكَانٌ آخَرَ هُوَ ضِعْفُ ب د، وَإِمْكَانٌ
آخَرَ هُوَ ضِعْفُ هَذَا الضَّعْفِ، إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ.



أ ب، إِمْتِدَادُ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ.

ب ج، فَضْلُ إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي عَلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ

ج د، فَضْلُ إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ عَلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي

ب د، مَجْمُوعُ فَضْلِ إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي عَلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ وَ فَضْلُ إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ عَلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّانِي. وَأَيْضًا هُوَ فَضْلُ إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ عَلَى إِمْتِدَادِ دَوْرَاتِ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ.

(16) [فَهَذَا الْإِمْتِدَادُ الْمَمْدُودُ... إِلَّا الزَّمَانُ]، إِذَنْ فَهُنَاكَ شَيْءٌ سَمِينَاهُ إِمْتِدَادًا أَوْ سَمِينَاهُ إِمْتِدَادًا، إِنَّمَا تَعْرِضُ لَهُ التَّسَبُّبُ الْكَمِّيَّةُ مِنْ طَوْلٍ وَقِصَرٍ، وَضِعْفٍ وَنِصْفٍ، فَهَلُمَّ جَرًّا. وَالكُمْ عَرَضٌ لَا يَقُومُ إِلَّا بِمَوْضُوعٍ ثَابِتٍ. إِذَنْ فَهَذَا الْإِمْتِدَادُ هُوَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا الزَّمَانُ.

(17) [فَلَيْسَتْ هَذِهِ الْكَمِّيَّاتُ... بِمَقَادِيرَ مُخْتَلِفَةٍ]، وَإِنَّمَا حَصَرْنَا هَذَا الْإِمْتِدَادَ فِي الزَّمَانِ فَقَطْ لِأَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُجْعَلَ وَاحِدٌ مِنْهَا هُوَ هَذَا

الإمكان بعينه واضح أنه لا يصح ذلك فيه أصلاً. وقد نُجْمِلُهَا فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ وَهِيَ، إِمَّا الْعَالَمُ الْمَوْجُودُ، وَإِمَّا الْبَارِيُّ تَعَالَى، وَإِمَّا نَفْسَ الْعَدَمِ الْمَتَقَدِّمِ عَلَى الْوُجُودِ. وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْعَالَمُ الْمَوْجُودُ، لِأَنَّ هَذَا الْإِمْكَانَ إِنَّمَا هُوَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِ الْعَالَمِ. وَلَا الْبَارِيُّ، لِأَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى مُتَنَزِّهَةٌ عَنِ الْكَمِّ، وَهَذَا الْإِمْكَانُ مِمَّا يَعْضُرُ لَهُ التَّقْدِيرُ. وَلَا الْعَدَمُ السَّابِقُ، لِأَنَّ الْعَدَمَ لَا شَيْءَ، وَالتَّقْدِيرُ هُوَ عَرَضٌ لَا يَقُومُ إِلَّا بِشَيْءٍ. فَبَقِيَ أَنَّهُ هُوَ الزَّمَانُ.

(18) [وَالْكَمِّيَّةُ صِفَةٌ... هُوَ قَدْرُ الْحَرَكَةِ]، وَالْكَمِّيَّةُ هِيَ عَارِضَةٌ لِشَيْءٍ ضَرُورَةً، وَهِيَ إِمَّا مِنْ جِهَةٍ مَا هِيَ عَارِضَةٌ لِلشَّيْءِ هِيَ زَمَانٌ، لِذَلِكَ فَإِنَّ مَعْرُوضَهَا الْأَوَّلَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا الْحَرَكَةَ، وَالزَّمَانُ إِمَّا هُوَ قَدْرُ الْحَرَكَةِ.

(19) [إِذْ ذُنُ قَبْلَ الْعَالَمِ... عِنْدَكُمْ زَمَانٌ]، إِذْ ذُنُ قَبْلَ الْعَالَمِ الَّذِي جَعَلْتُمُوهُ حَادِثًا، هُنَاكَ زَمَانٌ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ لَكَذَلِكَ لَيْسَ عِنْدَنَا فَقَطُّ، بَلْ عِنْدَكُمْ أَيْضًا، وَإِذْ فُلْنَا عِنْدَكُمْ، فَلَيْسَ عَلَى مَعْنَى أَنَّكُمْ تُصَرِّحُونَ بِهِ قَوْلًا، بَلْ عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْأَصْلَ الَّذِي تَتَقَلَّدُونَهُ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ قُدْرَتُهُ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ، فَإِنَّ الْقِيَاسَ الْمُبْتَدِئَ مِنْهُ إِمَّا يُفْضِي ضَرُورَةً إِلَى هَذَا الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ.

II- قَالَ الْغَزَالِيُّ "الإِعْتِرَاضُ"، إِنَّ كُلَّ هَذَا مِنْ عَمَلِ الْوَهْمِ¹ وَأَقْرَبُ طَرِيقٍ فِي دَفْعِهِ الْمُقَابَلَةُ لِلزَّمَانِ بِالْمَكَانِ²، فَإِنَّا نَقُولُ هَلْ كَانَ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى فِي سَمْتِكِ أَكْبَرَ مِمَّا خَلَقَهُ بِذِرَاعٍ. فَإِن قَالُوا لَا، فَهُوَ

تَعْجِيزٌ، وَإِنْ قَالُوا نَعَمْ، فَبِدْرَاعَيْنِ، وَثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ، وَكَذَلِكَ يُرْتَقَى إِلَى غَيْرِ نَهَائِهِ³. فَنَقُولُ فِي هَذَا اثْبَاتٌ بَعْدَ وَرَاءِ الْعَالَمِ لَهُ مِقْدَارٌ وَكَمِّيَّةٌ، إِذِ الْأَكْبَرُ بِدْرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مَا يَشْغُلُ مَكَانًا أَكْبَرَ مِنْ مَكَانٍ يَشْغُلُهُ الْأَكْبَرُ بِدْرَاعٍ، فَوَرَاءَ الْعَالَمِ بِحُكْمِ هَذَا كَمِّيَّةٌ، فَتَسْتَدْعِي ذَا كَمٍّ وَهُوَ الْجِسْمُ أَوْ الْخَلَاءُ، فَوَرَاءَ الْعَالَمِ خَلَاءٌ أَوْ مَلَأٌ. فَمَا الْجَوَابُ عَنْهُ⁴. وَكَذَلِكَ هَلْ كَانَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَ كُرَةَ الْعَالَمِ أَصْغَرَ مِمَّا خَلَقَهَا بِدْرَاعٍ ثُمَّ بِدْرَاعَيْنِ. وَهَلْ بَيْنَ التَّقْدِيرَيْنِ تَفَاوُتٌ فِيمَا يَنْتَفِي مِنْ الْمَلَأِ⁵ وَالشُّغْلِ لِلْأَحْيَا، إِذِ الْمَلَأُ الْمُنْتَفِي عِنْدَ نُقْصَانِ دِرَاعَيْنِ أَكْثَرُ مِمَّا يَنْتَفِي عِنْدَ نُقْصَانِ دِرَاعٍ فَيَكُونُ الْخَلَاءُ مِقْدَارًا، وَالْخَلَاءُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَكَيْفَ يَكُونُ مِقْدَارًا⁶. وَجَوَابُنَا فِي تَحْيِيلِ الْوَهْمِ تَقْدِيرَ الْإِمْكَانَاتِ الزَّمَانِيَّةِ قَبْلَ وُجُودِ الْعَالَمِ كَجَوَابِكُمْ فِي تَحْيِيلِ الْوَهْمِ تَقْدِيرَ الْإِمْكَانَاتِ الْمَكَانِيَّةِ وَرَاءَ وُجُودِ الْعَالَمِ وَلَا فَرْقَ⁷.

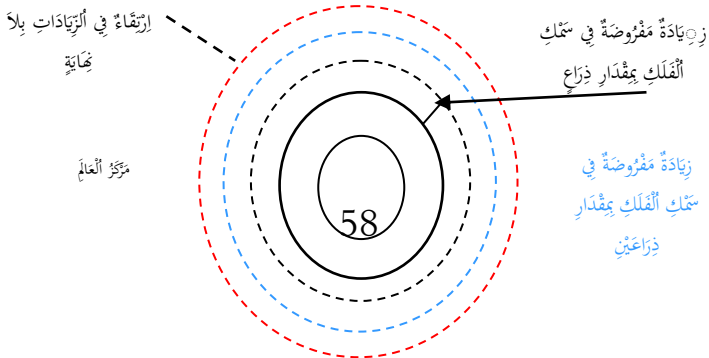
شَرْحُ -II-

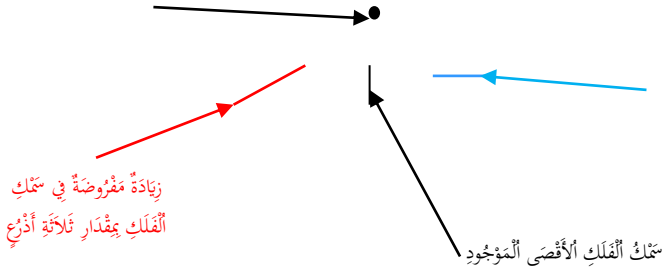
(1) [الإعتراض... عمل الوهم]، واعتراض العزالي أن هذه الإمكانيات المُقدَّرة التي أثبتتموها، وقلتم إنها هي الزمان إنما هي وهم محض. وهذا التأكيذ لا بد

مِنْ أَنْ يَكُونَ مَفْهُومًا، لِأَنَّ الْخَيَالَ أَوْ الْوَهْمَ قَدْ يَدْخُلُ فِي بِنَاءِ الْمَعَانِي
الصَّحِيحَةِ، إِذَا كَانَ مُسْتَبَدًّا إِلَى شَيْءٍ حَقِيقِيٍّ مُوْجِدٍ، كَحَالِهِ مَعَ الْعَقْلِ
الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْصَلَ الصُّورَ الْمَعْمُولَةَ لِلْمَحْسُوسَاتِ الْمَوْجُودَةِ إِلَّا
بِوَسَاطَةِ الْخَيَالِ.

(2) [وَأَقْرَبُ طَرِيقٍ... لِلزَّيْمَانِ بِالْمَكَانِ]، وَهَنَّاكَ طَرِيقًا لَا نَحْتَمِلُ فِيهِ عَنَاءَ الْبَحْثِ لِدَفْعِ
الِإِزْرَامِ الَّذِي الزَّمْتُمُونَا إِيَّاهُ، وَهُوَ مُشَابِهَةٌ الزَّيْمَانِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ بِالْمَكَانِ.

(3) [إِنَّمَا نَقُولُ هَلَا... إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ]، وَتَبَدُّؤُهُ مِنْ ذَا : إِنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى الْمُحِيطَ
بِالْعَالَمِ، وَهُوَ فَلَكَ الثَّوَابِتِ قَبْلَ بَطْلَيْمُوسَ، أَوْ الْفَلَكَ الْغَيْرُ مَكْوُكِبِ عِنْدَهُ،
إِنَّمَا هُوَ مَعْلُومٌ قَدْرُ سَمَكِهِ. وَإِذْ أَنَّ الْفَلَكَ هُوَ جِسْمٌ كُرِّيٌّ يُحِيطُ بِهِ سَطْحَانِ
مُتَوَازِيَانِ مَرْكَزُهُمَا مَرْكَزُ الْعَالَمِ، فَسَمَكُ الْفَلَكَ هُوَ الْبُعْدُ الَّذِي بَيْنَ ذَيْنِكَ
السَّطْحَيْنِ الْمُسَمَّى قَدِيمًا نِحْنًا. فَسُؤَالُ الْعَرَابِيِّ لِلْفَلَاسِفَةِ هَلْ كَانَ اللَّهُ قَادِرًا
عَلَى أَنْ يَخْلُقَ هَذَا السَّمَكَ أَكْبَرَ مِمَّا خَلَقَهُ بِذِرَاعٍ، ثُمَّ بِذِرَاعَيْنِ، ثُمَّ بِثَلَاثَةِ
أَذْرُعٍ، وَكَذَلِكَ يُرْتَقَى إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ. وَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يُجِيبُوا بِنَعْمٍ، لِأَنَّ "لَا"
إِنَّمَا تُوجِبُ وَصْفَ الْبَارِي تَعَالَى بِالْعَجْزِ، لِأَنَّ عِنْدَهُمْ كَمَا هُوَ عِنْدَنَا، كُلُّ
مَا لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ قَطْعًا.





4 [فتقول في هذا إثبات... فما الجواب عنه]، لكن هذه الزيادة الجسمية المفروضة على مقدار العالم، بمقدار ذراع أو أكثر، إنما تقتضي أن يكون وراء العالم بالفعل مكاناً يسع هذه الزيادة. ولما كان الإمكان في الزيادة الجسمية غير محدود، إذن فالإمكان المحيط بهذا العالم هو غير متناه، وهو كمية ذات أجزاء. فوراء العالم خلأ أو ملاء. وتصوير معنى الكلام قد يكون بهذا المثال، إذ لو عرّسنا فسيلاً في بيت قصير الارتفاع، ذي سقف رقيق هش، ثم إنَّها بعد زمانٍ صارت شجرةً ورَّاد طولها، فإنَّ تلك الزيادة في مقدار الشجرة سوف تقتضي حتماً مكاناً تشغله وليس لها من غنى البتة عنه. والدليل على ذلك هو ما نراه من حرّوقها للسقف، وامتدادها إلى ورائه.

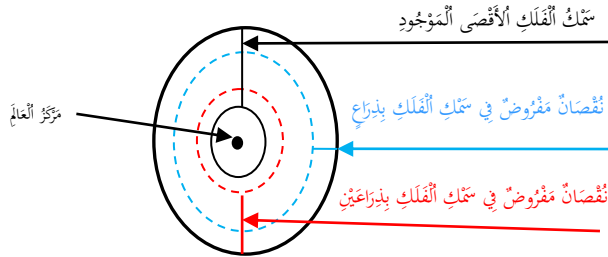
وقوله فما الجواب عنه، ففي معنى أن هذا عندكم إنما هو محال. لأنَّ هذا البعد الذي يزيد بزيادة الجسم في الفرض إلى غير غاية، إما أن يكون ملاءً، وإما أن يكون خلأً. فإن كان ملاءً، فهو جسم بالفعل غير متناه، وقد منعتم ذلك في الطبيعيات. وإما أن يكون خلأً، والخلأ لا شيء،

والتقدير لا يمكن أن يعرض لعدم. لكن هذا المعنى المتوهم هو بما يعرض له التقدير، فلا يمكن أن يكون خلاءً. وإذ امتنع أن يكون ملاءً أو خلاءً، فلا جرم أنكم تفصون فيه بأنه فقط إنما هو من صنع الوهم، وأن للعالم نهايةً في المقدار لا محالة.

(5) [فيما ينتهي من الملاء]، في النسخة المطبوعة موجود "الخلاء"، وهو خطأ، بل الصواب "الملاء".

(6) [وكذلك هل كان الله قادرًا... فكيف يكون مقدارًا]، وكما بان الأمر يفرض زيادة مطردة على ستم العالم الموجود، كذلك هو يبين أيضًا يفرض نقصان مطرد في هذا الستمك. لأنه في فذرة الإلاه تعالى أن يخلق عالمًا أصغر من هذا بذراع، ثم بذراعتين، وهكذا. فكان سيكون وراء العالم المفروض الأخير مكان كان يشغله الجزء من جسم العالم الموجود الذي يفضل به هذا العالم على العالم المفروض الأخير. وإذ أن هذا الجسم هو مقدر، كذلك فإن هذا المكان إنما يلحفه التقدير التابع لتقدير الجزء الجسمي. فإذا كان سيكون هناك خلاء وراء العالم المفروض الأخير، ويكون مقدارًا، والخلاء إذ ليس بشيء فلا يكون مقدارًا. والغزالي لم يذكر الملاء، لأن الملاء هو جسم، وما ينتهي من العالم بمقدار ذراع أو ذراعتين، فهلم جزًا، فهو جسم، فلا يمكن أن يبقى جسم في الحيز الذي كان فيه بعد انتفائه بعينه، لأن ذلك يوجب أن يكون جسمان قد كانا متداخلين، وهو محال. وقوله

"وَهَلْ بَيْنَ التَّفَادِيرِ تَفَاوُتٌ فِيمَا يَنْتَفِي مِنْ الْمَلَاءِ وَالشُّغْلِ لِلأَحْيَارِ، إِذِ الْمَلَاءُ الْمُنتَفِي عِنْدَ نُقْصَانِ ذِرَاعَيْنِ أَكْثَرُ مِمَّا يَنْتَفِي عِنْدَ نُقْصَانِ ذِرَاعٍ يُرِيدُ أَنَّ الْمَقَادِيرَ الْمُتَوَهِّمَةَ مَنْقُوصَةً مِنَ الْعَالَمِ الْأَوَّلِ هِيَ ذَاتُ نِسْبٍ بَيْنَهَا، وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ إِنَّمَا يَنْبَعُ تَوَهُّمُهَا تَوَهُّمُ أَحْيَارٍ تَكُونُ مَوْجُودَةً فِيهَا شَاغِلَةٌ لَهَا. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَحْيَارُ بِنَفْسِهَا إِنَّمَا هِيَ مَلَاءٌ، لِلإِمْتِنَاعِ الْمَذْكُورِ. إِذَنْ فَهِيَ خَلَاءٌ. وَلَا بُدَّ أَنَّهُ يَقْدِرُ مَا يَنْقُصُ مِنْ مَلَاءٍ، فَإِنَّمَا يَطْهَرُ مِنْ خَلَاءٍ. وَلَكِنْ مَا بَيْنَ الْمَقَادِيرِ الْمَنْقُوصَةِ الْمَفْرُوضَةِ إِنَّمَا هُنَاكَ نِسْبٌ مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ، فَهَلُمَّ جَرًّا. فَيَنْبَعُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ أَنَّ الْخَلَاءَ أَيْضًا هُوَ ذُو أَجْزَاءٍ ذَاتِ نِسْبٍ بَيْنَهَا. إِذَنْ فَالْخَلَاءُ هُوَ مِقْدَارٌ، وَالْمِقْدَارُ إِنَّمَا هُوَ عَرَضٌ يَقُومُ بِمَوْجُودٍ، فَهُوَ مَوْجُودٌ. لَكِنَّ الْخَلَاءَ هُوَ عَدَمٌ، هَذَا خَلْفٌ. لِذَلِكَ كَانَ حُكْمُكُمْ بِأَنَّ الْعَالَمَ لَا يُمَكِّنُ أَصْلًا أَنْ يَكُونَ أَصْعَرَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ بِالْفِعْلِ.



(7) [وَجَوَابُنَا فِي تَحْيِيلِ الْوَهْمِ... وَلَا فَرْقَ]، كَذَلِكَ أُيِّتَهَا الْفَلَاسِفَةُ، فَكَمَا صَرَفْتُمْ هَذِهِ الْحُجَّةَ الظَّاهِرَةَ بِوُجُودِ إمكَانَاتٍ مُقَدَّرَةٍ لَا مُتَنَاهِيَةَ قَدْ تُوجِبُ أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ الْعَالَمِ مَلَاءٌ أَوْ خَلَاءٌ، إِلَى الْوَهْمِ الصَّرْفِ، وَرَعَمْتُمْ أَنَّ طَرِيقَ الْعَمَلِ إِنَّمَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ مُتَنَاهِيًا، فَإِنَّا نَحْنُ أَيْضًا إِنَّمَا نَصْرِفُ دَلِيلَكُمْ هَذَا بِوُجُودِ إمكَانَاتٍ مُقَدَّرَةٍ لَا مُتَنَاهِيَةَ قَبْلَ وَقْتِ الْعَالَمِ إِلَى الْوَهْمِ الصَّرْفِ، وَنَتَمَسَّكُ كَتَمَسُّكِكُمْ فِي الْمَكَانِ، بِأَنَّ الزَّمَانَ دُوْهُ نَهَايَةَ ضَرُورَةٍ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ مِنْ جِهَةِ صُورَةِ الْحُجَّةِ الْمُوهِمَةِ فِيهِمَا، لِأَنَّ مَنَزِلَةَ الْحَوَادِثِ الْمُفْرُوضَةِ إِلَى الْإِمْكَانِ الْمُفْرُوضِ فِي الزَّمَانِ مُشَابِهَةٌ لِمَنَزِلَةِ الْأَجْسَامِ الْمُفْرُوضَةِ إِلَى الْإِمْكَانِ الْمُفْرُوضِ فِي الْمَكَانِ، إِذْ أَنَّ الْإِمْكَانَ فِي كِلَيْهِمَا هُوَ بِمَنَزِلَةِ الْوَعَاءِ الْمُسْتَوْعِبِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

III- قَالَ الْعَرَالِيُّ "فَإِنْ قِيلَ نَحْنُ لَا نَقُولُ إِنَّ مَا لَيْسَ بِمُمْكِنٍ فَهَوَ مَقْدُورٌ، وَكَوْنُ الْعَالَمِ أَكْبَرَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ أَوْ أَصْعَرَ مِنْهُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ، فَلَا يَكُونُ مَقْدُورًا"¹.

شرح -III-

(1) [فَإِنْ قِيلَ نَحْنُ... فَلَا يَكُونُ مَقْدُورًا]، وَالْفَلَاسِفَةُ لَهُمْ أَنْ يُزِدُوا عَلَى مَا قِيلَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُقَالُ عَاجِزٌ عَنِ الْمُمْتَنِعِ، بَلْ إِنْ كَانَ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنًا، فَهَوَ

مَقْدُورٌ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ فَلَيْسَ بِمَقْدُورٍ، إِذَنْ فَلَا يَلْحَقُ
 الْبَارِيُّ مِنْهُ صِفَةُ الْعَجْزِ الْبَتَّةِ. وَامْتِنَاعُ الشَّيْءِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا بِدَاتِهِ بِلَا
 بُرْهَانٍ، مِثْلَ الْجَمْعِ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ. وَإِمَّا
 أَنْ تَكُونَ مَعْرِفَتُهُ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، لِذَلِكَ فَقَدْ لَا يَمْتَعُهُ الْعَقْلُ لِأَوَّلِ
 وَهْلَةٍ. وَكَوْنُ الْعَالَمِ أَكْبَرَ مِنْهُ أَوْ أَصْغَرَ، هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَعْنِي مِنْ بَابِ
 الْمُتَمْتَعِ فِي نَفْسِهِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِبُرْهَانٍ، وَقَدْ كُنَّا جَمْنَا بِهِ. إِذَنْ
 فَأَنْتَ إِيمًا بِنَيْتِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ أَنَّا قَدْ أَقْرَرْنَا لَكَ بِأَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ هُوَ
 مَقْدُورٌ، تَوْفِيًّا مِنْ نِسْبَةِ الْعَجْزِ لِلْبَارِيِّ تَعَالَى. لَكِنْ نَحْنُ لَا نُقِرُّ مَا أَقْرَرْنَا
 إِيَّاهُ، لِأَنَّ مَنَعَنَا لَهُ إِيمًا هُوَ مَنَعٌ لِشَيْءٍ مُسْتَحِيلٍ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَلْحَقُهُ مِنْهُ
 إِذَنْ أَيُّ نَقْصٍ أَصْلًا.

IV- قَالَ الْغَزَالِيُّ "وهذا العذر باطلٌ من ثلاثة أوجهٍ، أحدها، أنَّ هذا
 مكابرةٌ للعقل، فإنَّ العقلَ في تقديرِ العالمِ أكبرُ أو أصغرُ مما هو عليه بذراعٍ
 ليسَ هو كتقديره الجمع بين السَّوادِ والبَيَاضِ، والوجودِ والعدمِ، والمُمتنعِ
 هو الجمع بين التَّمْيِ والإثباتِ، وإليه ترجعُ المُحالاتُ كُلُّهَا، فهو نَحْمٌ
 باردٌ فاسدٌ!"¹.

شَرْحُ -IV-

1) [وهذا العُدْرُ باطلٌ من ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ... فَهُوَ نَحْكُمُ بَارِدٌ فَاسِدًا]، قَالَ الْعَزَلِيُّ بَانَ هَذَا الْعُدْرُ الَّذِي لَكُمْ أَتَيْهَا الْفَلَاسِفَةُ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ لِأَسْبَابٍ ثَلَاثَةٍ. أَلَسَبَبُ الْأَوَّلُ هُوَ أَنَّ حُكْمَكُمْ بِالْإِحَالَةِ عَلَى إِمْكَانِ إِحْتِلَافِ عِظَمِ الْعَالَمِ، إِنَّمَا هُوَ دَعْوَى بِاللِّسَانِ وَتَجَنُّ عَلَى الْعَقْلِ. لِأَنَّهُ لَوْ عَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ لَمْ يَرِ فِيهَا الْإِمْتِنَاعَ الَّذِي يَرَاهُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُقَدِّرَ الْجُمُعَ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، أَوْ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ. لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمُمْتَنِعِ هِيَ الْجُمُعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِتْبَاتِ. وَقَوْلُهُ "وَالِيهِ تَرْجِعُ الْمُحَالَاتُ كُلُّهَا" فَمَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْءَ الْمُحَالَ إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا بِنَفْسِهِ، كَالْجُمُعِ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَلْزَمَ مِنْهُ شَيْءٌ هُوَ مُحَالٌ مَعْرُوفٌ بِنَفْسِهِ. مِثَالُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْهَنْدَسَةِ أَنَّ قُطْرَ الْمُرَبَّعِ لَوْ كَانَ لَهُ مَعَ ضِلْعِهِ مِقْدَارًا مُشْتَرَكًا، أَي مِقْدَارًا وَاحِدًا يُقَدِّرُهُ هُوَ، وَيُقَدِّرُ ضِلْعَهُ، لَكَانَتْ نِسْبَةُ مُرَبَّعِ الْقُطْرِ إِلَى مُرَبَّعِ الضِّلْعِ كَنِسْبَةِ عَدَدِ مُرَبَّعٍ إِلَى عَدَدِ مُرَبَّعٍ، بِمَا بَانَ فِي الشَّكْلِ السَّابِعِ مِنَ الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ أَصُولِ أَفِيلَيْدِسَ. وَلَكِنْ نِسْبَةُ مُرَبَّعِ الْقُطْرِ إِلَى مُرَبَّعِ الضِّلْعِ هِيَ كَنِسْبَةِ عَدَدِ اثْنَيْنِ إِلَى الْوَاحِدِ، بِمَا بَانَ فِي الشَّكْلِ السَّابِعِ وَالْأَرْبَعِينَ الْمُلَقَّبِ بِالْعُرُوسِ، مِنَ الْمَقَالَةِ الْأُولَى مِنَ الْأَصُولِ. وَوَاحِدٌ إِنَّمَا هُوَ مُرَبَّعٌ، لِأَنَّهُ ضَرْبٌ وَاحِدٌ فِي وَاحِدٍ. إِذَنْ فَنِسْبَةُ الْإِثْنَيْنِ إِلَى الْوَاحِدِ الْمُرَبَّعِ هِيَ كَنِسْبَةِ عَدَدِ مُرَبَّعٍ إِلَى عَدَدِ مُرَبَّعٍ. إِذَنْ فَالْإِثْنَانِ هُوَ مُرَبَّعٌ، بِمَا بَانَ فِي الشَّكْلِ الثَّلَاثِيِّ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْأَصُولِ حَيْثُ قَدْ بُرِهَنْ بَانَ كُلُّ عَدَدَيْنِ عَلَى نِسْبَةِ مُرَبَّعَيْنِ، وَأَحَدُهُمَا مُرَبَّعٌ، فَالْآخَرُ مُرَبَّعٌ. إِذَنْ فَالْإِثْنَانِ مَعًا هُوَ مُرَبَّعٌ وَلَيْسَ

بِمُرْبَعٍ. وَهَذَا مُحَالٌ مَعْرُوفٌ بِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ النَّفْيِ وَ الْإِثْبَاتِ، وَكَانَ قَدْ لَزِمَ مِنْ مُحَالٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ الْقَوْلُ بِمُشَارَكَةِ الْقَطْرِ لِلصَّلَعِ. فَمَقْصُودُ الْعَزَائِلِ إِذَا أَنَّ الْحُكْمَ بِجَوَازِ اخْتِلَافِ عِظَمِ الْعَالَمِ لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ لِأَنَّ بِالْإِمْتِنَاعِ الْمَعْرُوفِ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ نَفْسُ الْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَلَا بِالْإِمْتِنَاعِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْرُوفِ بِنَفْسِهِ، فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

V- قَالَ الْعَزَائِلُ "الثَّانِي، أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْعَالَمُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا أَصْغَرَ، فَوْجُودُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ لَا مُمَكِّنَ، وَالْوَاجِبُ مُسْتَعْنٍ عَنِ عَلَّةٍ، فَقُولُوا بِمَا قَالَهُ الدَّهْرِيُّونَ مِنْ نَفْيِ الصَّانِعِ وَنَفْيِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَلَيْسَ هَذَا مَذْهَبُكُمْ¹."

شَرْحٌ -V-

(1) [الثاني، أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْعَالَمُ... وَلَيْسَ هَذَا مَذْهَبُكُمْ]، وَالسَّبَبُ الثَّانِي فِي عَدَمِ اسْتِقَامَةِ عَدْرِكُمْ هُوَ أَنَّ حُكْمَكُمْ بِإِمْتِنَاعِ اخْتِلَافِ عِظَمِ الْعَالَمِ يُوجِبُ بَأَنَّهُ وَاجِبٌ

فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ. وَإِذِ الْوُجُوبُ دَلِيلٌ عَلَى الْإِسْتِعْنَاءِ، إِذَنْ فَالْعَالَمُ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ. فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فَاعِلٌ مُبَايِنٌ لَهُ، وَهَذَا بِعَيْنِهِ هُوَ قَوْلُ الدَّهْرِيَّةِ النَّافِيَةِ لِلصَّانِعِ، وَالْمُبْطَلَةِ لِمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ. لَكِنَّ مَذْهَبَكُمْ أَنْتُمْ غَيْرُ ذَلِكَ، سِوَاةَ كَانِ عَلَى قَوْلِ أَرِسْطُو الَّذِي يُثْبِتُ مَبْدَأً أَوْلَا غَيْرَ جِسْمَانِيٍّ هُوَ صُورَةُ الصُّورِ وَالْمَحْرُكُ الَّذِي لَا يَتَحَرَّكُ، أَوْ عَلَى قَوْلِ ابْنِ سِينَا الَّذِي يَجْعَلُهُ مَبْدَأً إِبْدَاعٍ وَفَيْضٍ لِلْعَالَمِ.

VI - قَالَ الْغَزَالِيُّ "وَالثَّلَاثُ، هُوَ أَنَّ هَذَا الْفَاسِدُ لَا يُعْجِزُ الْخَصَمَ عَنِ مُقَابَلَتِهِ بِمِثْلِهِ¹، فَتَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ وُجُودُ الْعَالَمِ قَبْلَ وُجُودِهِ مُمَكِّنًا، بَلْ وَافَقَ الْوُجُودُ الْإِمْكَانَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ². فَإِنْ قُلْتُمْ فَقَدْ انْتَقَلَ الْقَدِيمُ مِنَ الْعَجْزِ إِلَى الْقُدْرَةِ، قُلْنَا لَا، لِأَنَّ الْوُجُودَ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا فَلَمْ يَكُنْ مَقْدُورًا، وَامْتِنَاعُ حُصُولِ مَا لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَا يَدُلُّ عَلَى الْعَجْزِ. وَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّهُ كَيْفَ كَانَ مُمْتَنِعًا فَصَارَ مُمَكِّنًا، قُلْنَا وَلَمْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُمْتَنِعًا فِي حَالٍ مُمَكِّنًا فِي حَالٍ، كَمَا أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا أُخِذَ مَعَ أَحَدِ الصِّدِّيقَيْنِ ائْتَمَعَ ائْتِصَافُهُ بِالْآخَرِ،

وإِذَا أُحْدِلَ لَا مَعَهُ أَمْكَنٌ³. فَإِنْ قُلْتُمْ الْأَحْوَالَ مُتَسَاوِيَةٌ⁴. قُلْنَا لَكُمْ وَالْمَقَادِيرُ مُتَسَاوِيَةٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ مِقْدَارُ مُمَكِّنَا، وَأَكْبَرُ مِنْهُ أَوْ أَصْغَرُ بِمِقْدَارِ ظُفْرِ مُتْنَعًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِلْ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَحِلْ هَذَا⁵. فَهَذَا طَرِيقُ الْمُقَاوَمَةِ⁶.

وَالْتَحْقِيقُ فِي الْجَوَابِ أَنَّ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ تَقْدِيرِ الْإِمْكَانَاتِ لَا مَعْنَى لَهُ، وَإِنَّمَا الْمُسْلِمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ قَادِرٌ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْفِعْلُ أَبَدًا إِنْ أَرَادَهُ وَكَيْسَ فِي هَذَا الْقَدْرِ مَا يُوجِبُ إِثْبَاتَ زَمَانٍ مُتَدَدٍ إِلَّا أَنْ يُضَيَّفَ الْوَهْمُ بِتَلْيِيسِهِ إِلَيْهِ شَيْئًا آخَرَ⁷."

شرح -VI-

(1) [وَالثَّالِثُ... عَنْ مُقَاتِلَتَيْهِ بِمِثْلِهِ]، وَالسَّبَبُ الثَّلَاثُ فِي بُطْلَانِ هَذَا الْعُدْرِ هُوَ أَنَّ الْخُصْمَ، وَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ الَّذِي يُثْبِتُ لِلزَّمَانِ أَوْلًا، خِلَافًا لِلْفَيْلَسُوفِ، سَيُمْكِنُهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْتَعْمِلَ نَفْسَ هَذَا الْعُدْرِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْإِزَامِ الْفَلَسَفَةِ الْمُبْتَدِئَةِ عَلَى وُجُوبِ إِفْرَارِ الْمُتَكَلِّمِ بِأَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَدْ خَلَقَ الْعَالَمَ فِي أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ قَبْلَ خَلْقِهِ، وَإِلَّا فَسَيَكُونُ قَدْ أَثْبَتَ لَهُ الْعَجْزَ.

2] [نَقُولُ إِنَّهُ لَمْ... وَلَا نُفَصِّلُ]، وَصُورَةٌ هَذَا الْإِسْتِعْمَالِ أَنْ نَقُولَ لِلْفَيْلِ سَوْفَ إِنَّا لَنْ نُنْفِرَ لَكُمْ بِأَنَّ الْبَرَاءَى يُمَكِّنُهُ أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهُ، وَلَيْسَ فِي هَذَا الْمَنْعِ الْخِطَابُ لِصِفَةِ الْعَجْزِ بِهِ أَصْلًا، لِأَنَّ الْمُمْتَنِعَ فِي نَفْسِهِ لَا يَكُونُ مَعْجُزًا عَنْهُ. بَلْ كَمَا تَقُولُونَ أَنَّ نَفْسَ الْمُمَكِّنِ فِي ذَاتِهِ مِنْ عِظَمِ الْعَالَمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مِقْدَارِهِ، وَأَنَّ مَا زَادَ أَوْ نَقُصَرَ مُتَمَتِّعٌ، كَذَلِكَ نَقُولُ إِنَّ نَفْسَ الْمُمَكِّنِ فِي وَقْتِ الْعَالَمِ مَا كَانَ قَدْ وُجِدَ فِيهِ، وَأَنَّ مَا زَادَ مِنْهُ أَوْ نَقُصَرَ، فَهُوَ مُتَمَتِّعٌ، فَلَا يُوصَفُ اللَّهُ لِامْتِنَاعِ فِعْلِهِ إِيَّاهِ بِالْعَاجِزِ الْبَتَّةَ.

3] [إِنَّا قُلْتُمْ فَقَدْ انْتَقَلَ... لَا مَعَهُ أَمَكْنٌ]، وَقَدْ تَرُدُّ الْفَلَاسِفَةُ بَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ، إِذْ فِي مِثَالِنَا لَيْسَ هُنَاكَ تَجَدُّدٌ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ إِلَى الْإِمْكَانِ، بَلِ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ هُوَ دَائِمًا عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِمْكَانِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ عَلَى ذَلِكَ الْمِقْدَارِ بَعِيْنِهِ. أَمَّا عِنْدَكُمْ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ قَبْلَ خَلْقِهِ هُوَ مُمَكِّنًا أَيْضًا، وَهُنَاكَ فَلَيْسَ يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَمْنَعُوا كَوْنَهُ مَقْدُورًا إِلَّا مَعَ الْخِطَابِ الْعَجْزِ بِهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ مُتَمَتِّعًا قَبْلَ خَلْقِهِ، وَلَمْ يَصِرْ مُمَكِّنًا إِلَّا حِينَ خَلْقِهِ، وَهُنَاكَ فَأَنْتُمْ تُنْتَبِهُونَ انْقِلَابَ الطَّبِيعَةِ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ إِلَى الْإِمْكَانِ، وَهُوَ مُحَالٌ. وَالْجَوَابُ هُوَ أَنَّا لَا نُسَلِّمُ بِالْوَجْهِ الْأَوَّلِ، بَلْ نَقُولُ إِنَّ الْعَالَمَ إِنَّمَا وَافَقَ إِمْكَانَهُ خَلْقَهُ. لِذَلِكَ فَلَا يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ عَاجِزًا عَنْهُ، إِذْ لَا عَجْزَ عَنِ الْمُمْتَنِعِ. إِذِنْ فَتَحْنَا إِنَّمَا نَأْخُذُ بِالْوَجْهِ الثَّانِي، وَلَكِنَّا تَمْنَعُ عَنْهُ الْأَلَاذِمَ الْمُحَالَ الَّذِي أَوْجَبْتُمُوهُ. لِأَنَّ انْتِقَالَ الشَّيْءِ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ لَيْسَ بِالْأَضْرُورَةِ هُوَ قَلْبًا لِطَبِيعَتِهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْإِمْكَانُ مَشْرُوطًا بِشَرْطٍ، فَمَا لَمْ

يَكُنِ الشَّرْطُ كَانَ مُمْتَنِعًا، وَإِنْ صَحَّ الشَّرْطُ صَحَّ الْإِمْكَانُ مِنْ غَيْرِ انْقِلَابٍ فِي الطَّبِيعَةِ الْبَتَّةَ، مِثْلَ أَنَّ الشَّيْءَ يُوجَدُ لَهُ أَحَدُ الضِّدِّينِ بِشَرْطِ ارْتِفَاعِ الضِّدِّ الْآخَرَ، فَمَا وَجَدَ الضِّدَّ الْآخَرَ كَانَ مُمْتَنِعًا، فَإِنْ هُوَ ارْتَفَعَ صَارَ مُمَكِّنًا.

(4) [إِنَّمَا فُلْتُمْ الْأَحْوَالَ مُتَسَاوِيَةً]، أَيُّ وَإِنْ رَدَّتِ الْفَلَاسِفَةُ إِنَّ وَقْتَ خَلْقِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْأَوْقَاتِ الْأُخْرَى الَّلَامْتَنَاهِيَّةَ، هِيَ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَةٌ، أَيُّ مُتَشَابِهَةٌ، فَلَيْسَ لَوْقَتِ عَلَى وَقْتِ مِنْ حُصُوصٍ، إِذَنْ فَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ مُتَجَدِّدٍ يَجْعَلُ لَوْقَتِ خَلْقِ الْعَالَمِ لَهُ صِفَةُ الْإِمْكَانِ، مِنْ دُونِ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ الْأُخْرَى جَمِيعَهَا، وَالَّتِي الْعَالَمُ هُوَ مَوْصُوفٌ فِيهَا بِالْإِمْتِنَاعِ.

(5) [فَلَمَّا لَكُمْ وَالْمَقَادِيرُ... لَمْ يَسْتَحِلْ هَذَا]، كَذَلِكَ قُلْنَا لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَقَادِيرِ الْعَالَمِ هِيَ مُتَسَاوِيَةٌ، وَلَيْسَ لِمِقْدَارٍ عَلَى مِقْدَارٍ مَرِيَّةٌ فِي الْإِمْكَانِ حَتَّى تَصِيرَ سَائِرُ الْمَقَادِيرِ الْأُخْرَى كُلُّهَا مُمْتَنِعَةٌ، وَلَوْ زَادَتْ أَوْ نَقَصَتْ عَنِ مِقْدَارِ الْعَالَمِ بِمِقْدَارٍ ظَفَرٍ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِلْ ذَلِكَ، أَيُّ وَإِنْ لَمْ يَسْتَحِلْ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ بِالْوُجُوبِ، هُوَ عَلَى مِقْدَارٍ مَا مُتَنَاهٍ، وَإِنْ كَانَ مُتَشَابِهَ الْحَالِ مَعَ الْمَقَادِيرِ الْأُخْرَى كُلُّهَا، كَذَلِكَ فَأَقْبَلُوا مِنَّا بَيِّنًا لِلْعَالَمِ زَمَانًا مَا مُتَنَاهِيًا بِالْوُجُوبِ، وَإِنْ كَانَ مُتَشَابِهَ الْحَالِ مَعَ كُلِّ الْأَوْقَاتِ الْأُخْرَى.

(6) [فَهَذَا طَرِيقُ الْمَقَاوِمَةِ]، قَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ بِالْمَقَاوِمَةِ طَرِيقَةً فِي الْجَدَلِ تَقُومُ فَقَطُّ عَلَى إِفْسَادِ حُجَجِ الْخُصْمِ، وَلَا تَهْتَمُّ بِأَنْ تَأْتِيَ بِأَدِلَّةٍ لِلْوَضْعِ، يَعْجِزُ الْخُصْمُ عَنْ نَقْضِهَا.

(7) [وَأَتَّخِيقُ فِي الْجَوَابِ... بِتَلْبِيسِهِ إِلَيْهِ شَيْئًا آخَرَ]، وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ، فَالْشَيْءُ الثَّابِتُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَفْعَلَ الْفِعْلَ، وَأَنَّ مَا أَدْعَيْتُمُوهُ مِنْ إِمْكَانَاتٍ لَا مَعْنَى لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِمَّا قُلْتُمُوهُ إِنَّمَا يُوجِبُ إِثْبَاتَ زَمَانٍ مُتَمَدِّدٍ، بَلْ ذَلِكَ عِنْدَنَا إِنَّمَا هُوَ فَقَطٌ مِنْ تَلْبِيسَاتِ الْأَوْهَامِ.

-

قَدْ بَقِيَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى دَلِيلَانِ سَنَأْتِي عَلَى شَرْحِهِمَا بِإِذْنِهِ تَعَالَى.

أَسْمَاءُ كُتُبٍ مَذْكُورَةٍ فِي الشَّرْحِ نَافِعٌ جِدًّا قِرَاءَتُهُمَا

(1) ابْنُ سِينَا، **الْشِّفَاءُ، الْأِلَاهِيَّاتُ**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1380 هجرية - 1960 ميلادية.

" " ، **الْأَسْمَاءُ الطَّبِيعِيَّةُ**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.

" " ، **النَّجَاةُ**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1405 هجرية - 1985 ميلادية.

" " ، **الْمَقُولَاتُ**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1378 هجرية - 1959 ميلادية.

(2) أَرَسْتُو، أَلْسَمَاعُ الطَّبِيعِيُّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1404 هجرية - 1984 ميلادية.

" ، أَلْمَقُولَاتُ، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1999.

(3) أَفَلِيدِسُنْ، أَلْأَصُولُ، طبعة طهران 1880.

(4) أَلْإِيحِي، عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ، أَلْمَوَاقِفُ، عالم الكتب، بيروت.

(5) أَلْسَيِّدُ أَلشَّرِيفُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ أَلْجُرْجَانِيِّ، شَرْحُ أَلْمَوَاقِفِ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هجرية - 1998 ميلادية.